دلالةُ الألفاظِ بين التجسيد والتجريد

Significance of words between incarnation and abstraction.

م.د علي موسى عكلة الكعبي
كلية التربية-جامعة ميسان

Dr. Ali Mousa Okla Al Kaabi.
Faculty of Education - University of Missan.

كلمات مفتاحية : علم الدلالة / دلالة اللفظ/ التجريد/ التجسيد/ أسماء المعاني

ملخص البحث

إنّ التطورَ الدلاليَّ ظاهرة طبيعية في اللغات كلها، إذ تنتقل الألفاظ من مجال دلالي إلى مجال دلالي آخر، لتكتسب مفهوماً جديداً، وهذا التطور يُعزى إلى جملة عوامل اجتماعية وثقافية ونفسية تسهم في تغيير دلالات الألفاظ.

ومن آثار العوامل الاجتماعية والثقافية في التغير الدلالي، انتقال الدلالة من التجسيد إلى التجريد، بسبب تطور العقل البشري، والحاجة إلى ألفاظ تعبّر عن المعاني المجردة بدلاً عن المحسوسة لتفي بمتطلبات الاستعمال.

ونظراً إلى إسهام هذا الموضوع في إرساء قواعد الاشتقاق وقواعد المشترك اللفظي، وفي كونه يرشد إلى أهمّ أبواب المعجم اللغوي التاريخي، الذي يسعى الباحثون إلى انجازه، لذلك تناوله هذا البحث، ورصد نماذج منه في لغة العرب، وبيّن مظاهره التي يتجلّى بها، وحاول أن يعرض أهم المواضع ذات الصلة بالتطور الدلالي، التي تنبّه لها بعض علمائنا المتقدمين، كابن دريد، وابن جني، وابن فارس، والسيوطي وغيرهم، وأشاروا إليها في ثنايا مؤلفاتهم.

وقد تضمّن البحث تمهيداً في معنى التجسيد والتجريد وحقوله الدلالية، وأربعة مباحث تمثّل أنماط التطور الدلالي بين التجسيد والتجريد.

الأول منها: انتقال دلالة اللفظ من التجسيد إلى التجريد.

والثاني: انتقال دلالة اللفظ من التجريد إلى التجسيد.

والثالث: انتقال دلالة اللفظ من مجال حسي إلى مجال حسي آخر.

والمبحث الرابع: انتقال دلالة اللفظ من مجال مجرد إلى مجال مجرد آخر.

والله ولي التوفيق، عليه نتوكل، وهو المستعان

Abstract

Semantic development is a natural phenomenon in all languages، as words move from a semantic field to another semantic field، acquiring a new concept. This development is due to a combination of social، cultural and psychological factors that contribute to changing the meanings of words.

One of the effects of social and cultural factors in semantic change is the shift from incarnation to abstraction due to the development of the human mind، and the need for words that express abstract meanings rather than concrete meanings to feed the requirements of use.

In view of the contribution of this subject to the establishment of the rules of derivation and the rules of the common verbal، and in that it guides to the most important sections of the linguistic-historical lexicon، which the researchers seek to accomplish، so this study dealt with، and models of it in the language of the Arabs، and manifestations manifest in it. It shows the most important places related to the semantic development، which some of our advanced scientists have alerted، such as Ibn Duraid، Ibn Jinni، Ibn Fares، al-Suyooti and others، and referred to in the folds of their writings.

.

المقدمة

يحظى علم الدلالة بأهمية خاصة من لدن علماء اللسان؛ ذلك لأنه يشكّل الهدف الذي من أجله يكون التواصل بين المشاركين في الخطاب، ومنذ أوائل القرن التاسع عشر اهتمّ علماء اللغة بمسألة التطور الدلالي، محاولين تقنين علم الدلالة بقواعد ومعايير تتنوع بحسب اتجاهات المدارس اللسانية المختلفة، وقد بحث جميعهم في بيان أسباب تغير الدلالة وأشكاله وصوره، وأدركوا أنّ التطور الدلالي، هو تغيير معاني الألفاظ نتيجة العلاقة المتبادلة بين صورة اللفظ ومعناه، فيحدث التطور الدلالي كلما حدث تغيير في هذه العلاقة، وقد يكون في صورة تضييق المعنى، أو توسيعه، أو رقّيه، أو انحطاطه، أو تغيير مجال استعمال الكلمة عن طريق الاستعارة، أو المجاز، أو الانتقال من المحسوس إلى المجرد، ومن المجرد إلى المحسوس.

إنّ التطور الدلالي ظاهرة طبيعية في اللغات كلها، إذ تنتقل الألفاظ من مجال دلالي إلى مجال دلالي آخر، لتكتسب مفهوماً جديداً، وهذا التطور لا يحدث اعتباطاً، بل إنه يُعزى إلى جملة عوامل موضوعية وأخرى ذاتية، ومنها عوامل اجتماعية ثقافية، وأخرى نفسية، ولغوية تسهم في تغيير دلالات الألفاظ [١].

ومن آثار العوامل الاجتماعية والثقافية في التغير الدلالي انتقال الدلالة من التجسيد إلى التجريد، بسبب تطور العقل البشري، والحاجة إلى ألفاظ تعبّر عن المعاني، بدلاً من الأعيان، والمصادر بدلاً من الجواهر. وقد استطاعت اللغة أن تكون المركّب الذي أسهم في تطوير مسار الإنسانية من الحسيّ إلى المجرد، وأن تنمو وتتطور مع الفكر لتكون أداته المعبّرة عنه[٢].

وبالنظر إلى أهمية هذا الموضوع، لصلته في بعض قواعد الاشتقاق والمشترك اللفظي، وفي كونه يرشد إلى أهمّ أبواب المعجم اللغوي التاريخي الذي يسعى الباحثون إلى انجازه، لذلك تناوله هذا البحث، ورصد نماذج منه في لغة العرب، وقد تضمّن تمهيداً في معنى التجسيد والتجريد وحقوله الدلالية، وأربعة مباحث تمثل أنماط التطور الدلالي بين التجسيد والتجريد، الأول منها: انتقال دلالة اللفظ من التجسيد إلى التجريد، استناداً إلى سبق المعنى المحسوس في الوجود من حيث الزمان. والثاني: انتقال دلالة اللفظ من التجريد إلى التجسيد. والثالث: انتقال دلالة اللفظ من مجال حسي إلى مجال حسي آخر. والمبحث الرابع: انتقال دلالة اللفظ من مجال مجرد إلى مجال مجرد آخر، والله ولي التوفيق.

التمهيد: مفهوم التجسيد والتجريد

التجسيد: embodiment

الجسدُ للإنسان، ولا يقال لغير الإنسان جَسَدٌ من خَلْقِ الأرض، وكلّ خَلْقٍ لا يأكُلُ ولا يشْرَبُ من نحوِ الملائكةِ والجِنِّ ممّا يَعقِل فهو جَسَدٌ، وكانَ عِجْلُ بني

إسرائيلَ جَسَداً لا يأكُلُ ولا يشْرَبُ ويَصيحُ. والجَسَدُ: الدَّمُ نفسُه، والجَسِدُ: اليابِسُ، والجِسادُ: الزَّعْفَرانُ ونحوُه من الصِّبْغِ الأحمَرِ والأصفَرِ الشديدِ الصُّفْرة. وثَوبٌ مُجْسَد: مُشْبَعٌ عُصْفُراً، أو زَعْفَراناً، وجمعُه مَجاسِد[٣].

والجسدُ: البدنُ. تقولُ منه: تجسّدَ، كما تقولُ من الجسم: تجسّمَ. والجسدُ أيضاً: مصدر قولك: جسِد به الدم يجسَد، إذا لصِق به، فهو جاسد وجسِد. والمِجسَد -بكسر الميم-: ما يلي الجسدَ من الثياب. وقال الفراء: أصلُه الضمّ، لأنّه من (أجسدَ)، أي ألصق بالجسد. وقال بعضهم: قوله تعالى: ﴿أَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً﴾[٤]، أي أحمرَ من ذهب[٥]. وقيل: ذو جثةٍ على التشبيه بالعاقل وبالجسم[٦].

وللتجسيد في الاصطلاح دلالات فنية عديدة بوصفه مصطلحاً بلاغياً، أو نقدياً، أو أدبياً [٧]، والمقصود في البحث من لفظ التجسيد: الألفاظ الدالة على شيءٍ محسوسٍ يدرك بالحواس الظاهرة، في مقابل تلك الدالة على شيءٍ معنويّ ذهنيّ مجرد. وتشمل خلق الإنسان وصفاته الحسية، وألفاظ الحضارة الحسية المتعلقة باللباس والآلات والأدوات والأثاث والبناء، والأفعال والصفات الحسية، كالأفعال الدالة على حركات محسوسة.

التجريد: Abstraction

يقال: جَرَدَ الشيء يجرُدُهُ جَرْداً، وجَرَّدَهُ، بمعنى: قشَّره. وهو مصدر: جَرَدته من ثيابه، إذا نزعتها عنهُ. وتجرَّد الرَّجل من ثيابه يتجرَّد تجرّداً: نزعها، وتجرَّدتِ السنبلة وانجَرَدَتْ: خرجت من لفائفها، وكذلك النَّورُ عن كِمامِهِ، وانجردت الإبِلُ من أَوبارها، إذا سقطت عنها. وجَرَّدَ الكتابَ والمصحفَ: عَرَّاه من الضَّبط والزيادات والفواتح[٨].

ويمكن للباحث في الفلسفة والعلوم، أو اللغة والأدب والفنّ، أو التربية وعلم النفس أن يجد معاني وتعريفات كثيرة للتجريد بمعناه الاصطلاحي[٩]، يتلمّس فيها بعض الاختلاف وبعض التشابه في الوقت نفسه.

والمراد من التجريد في هذا البحث المفردات التي« تعبّر عن الحالات النفسية والعقلية ومفرداتهما من الشعور والانفعال والحكم في السلوك والحياة عامة وفي العلوم» [١٠]. ويشمل ذلك الألفاظ ذات المعاني الذهنية المجردة« التي تدلّ على صفات معنوية غير محسوسة مثل: الكرم والشجاعة وغير ذلك» [١١].

ولم تقتصر اللغة العربية في تصويرها الوجود وتعبيرها عن أجزائه، على الحسيّات، كما هو شأن كل لغة في طورها الابتدائي، بل أثبتت قدرتها على التجريد والتعبير عن المعنويات والمجردات، وبلغت بذلك غاية قصوى ودرجة عليا، فلو استقصينا ألفاظ العربية لوجدنا كمّاً هائلاً من الألفاظ الدالة على الحسيات من أرض وسماء وحيوان ونبات وجماد، ومن حركات وأفعال ومن ألوان وأصوات وروائح

وهيئات، ومن صفات حسية تتصف بها كلّ هذه الموجودات، كصفات الأرض من سهولة ووعورة وصفات الحيوان والإنسان. وهكذا نجد العربية قد عنيت بالحسيات بآفاقها الواسعة وأنواعها المختلفة ودقائقها الخفية.

فضلاً عن ذلك لم تهمل المجردات، فقد عبّرت بسعة وغزارة عن أنواع العواطف والمشاعر الإنسانية كالسرور والحزن والغضب والكبر والحبّ والبغض والغيرة والشماتة، وذكرت الكلمات الدالة على الطباع كالذكاء والحزم والحلم والشجاعة والجبن والكرم والبخل، وعلى الأفعال والمفاهيم الخلقية كالإحسان والبرّ والعدل والظلم والحقّ والباطل والخير والشرّ. واشتملت على المفاهيم الكلية والمعاني المجردة كالوجود والعدم والحدوث والقدم والروح والنفس والخلق والقضاء والقدر والحكم والهدى والضلال والخلود والزمان والحياة والموت والفناء والجمال، وعبّرت عن كلّ ذلك بألفاظ مجردة في أدقّ معانيها ومختلف درجاتها وفروقها[١٢].

اصطلاحات بديلة

يمكن أن يطلق على التجسيد والتجريد بالمفهوم المتقدّم نفسه، مرادفات أخرى مستقاة من التراث العربي، منها: أسماء الأشباح، وأسماء الأعمال، قال الزمخشري:« الأسماء ضربان: أسماء الأشباح، وهي التي أدركتها الرؤية والحسّ، وأسماء الأعمال وهي التي لا تدركها الرؤية ولا الحسّ» [١٣].

ومنها أيضاً: أسماء الأعيان، وأسماء المعاني، قال ابن جني في باب(تعليق الأعلام على المعاني): «اعلم أنّ الأعلام أكثر وقوعها في كلامهم، إنّما هو على الأعيان دون المعاني. والأعيان هي الأشخاص نحو: زيد، وجعفر، وأبي محمد، وأبي القاسم، وعبد الله، وذي النُون، وذي يَزَن، وأعوج، وسَبَل، والوَجيه، ولاحِق، وعَتْوة[١٤]، والجَدِيل، وشَدقم[١٥]، وعُمَان، ونَجران، والحجاز، والعراق، والنجم، والثُريّا، وبِرقْع، والجَرْباء» [١٦].

وعبّر النحاة عن اللفظ المحسوس باسم الجثّة، وعن مقابله باسم المعنى، وقد أطلقوه على المصادر. قال ابن عقيل:« الاسم الصريح الذي يقع مبتدأ نوعان:

١- اسم جُثَّة، أي: الجِسْم الْمَحْسُوس بالبَصَر أو بغيره مِن الحَوَاس كالشَّمس، والقمر، والهلال، والشجرة، والقلم.

٢- اسم معنى، أي: الذي لا يكون جسْماً، وإنّما يكون شيئاً مفهوماً بالعقل كالعلم، والنوم، والأدب، والشَّرف» [١٧].

واستعمل الجرجاني مصطلح المحسوس والمعقول[١٨]، وقد آثرت مصطلح التجسيد والتجريد متابعةً للدكتور مصطفى جواد (رحمه الله) [١٩].

الحقول الدلالية للمحسوس والمجرّد

انتهى علم الدلالة إلى تصنيف الحقول الدلالية باعتبار ما تحيل عليه في عالم الأعيان والأذهان، بأنه لا يخرج عن جنسين من المدلولات: مدلولات محسوسة، ومدلولات تجريدية. والمدلولات المحسوسة تتفرّع إلى قسمين: محسوسات متصلة، ومحسوسات منفصلة، وبناءً على ذلك توصّل أولمان إلى تقسيم الحقول الدلالية على أنواع ثلاثة هي:

١- الحقول المحسوسة المتصلة: ويمثّلها نظام الألوان في اللغات، فمجموعة الألوان امتداد متصل يمكن تقسيمه بطرائق مختلفة، وتختلف اللغات فعلاً في هذا التقسيم. ومعلوم أن الألوان تشكّل مشكلة من مشكلات غموض الدلالة، لاتصالها وتكاثرها إلى ما لانهاية، واستحالة وضع حدود فاصلة بينها، وقد أشار أولمان إلى ذلك بقوله:« قد يستحيل علينا أن نعزل الشيء عن غيره، أو أن نميّزه من ذلك الغير تمييزاً دقيقاً، كما في حالات الألوان مثلاً، فهذه الألوان يتداخل بعضها في بعض بصورة تدريجية بحيث يصبح الفصل بينها أو تقسيمها إلى أنواع أو مجموعات أمراً مصطنعاً ومتكلّفاً إلى حدّ بعيد» [٢٠].

٢- الحقول المحسوسة ذات العناصر المنفصلة: ويمثلها نظام العلاقات الأسرية، فهو يحوي عناصر تنفصل واقعاً في العالم غير اللغوي، وهذه الحقول كسابقتها يمكن أن تصنّف بطرائق متنوعة ومعايير مختلفة.

٣- الحقول التجريدية: ويمثلها نظام الخصائص الفكرية، وهذا النوع من الحقول يعدّ أهمّ من الحقلين المحسوسين، نظراً للأهمية الأساسية للغة في تشكيل التصورات التجريدية[٢١]. وهو أحد مشكلات غموض المعنى التي أشار إليها أولمان[٢٢]. وأحد مشكلات نظريات الدلالة، ولاسيما نظرية الإشارة، والنظرية السلوكية، فنظرية الإشارة ترى أنّ المعنى هو المشار إليه، وقد وجهت إليها عدة انتقادات منها أنّ الألفاظ المجردة كالحبّ والعدل ليس لها وجود خارجي تشير إليه، ومع ذلك لا أحد ينكر أنّ لها معاني[٢٣].

ويرى السلوكيون أنّ المعنى هو مجموعة من المثيرات والاستجابات، لذلك فانّ المعاني المجردة تشكّل مشكلة عندهم، إذ يرى بلومفيلد« أنه من الممكن تحديد المعنى إذا كان متعلقاً بما نعرفه معرفةً علميةً، كأن نعرّف الملح بأنه كلوريد الصوديوم (NACL)، ولكن ليس لدينا طريقةٌ محكمةٌ لتعريف كلمات مثل: حبّ وكراهية ونحوهما ممّا يتصل بالمواقف التي لم تصنّف بطريقة دقيقة مع أنّها تمثّل الغالبية الساحقة من كلمات اللغة»[٢٤].

أنماط التطور الدلالي بين التجسيد والتجريد

إنّ تردد الكلمة في مجال الاستعمال بين التجسيد والتجريد، يعدّ من مظاهر التطور الدلالي في اللغة، ويمكن أن نتصور أربعة أنماط لهذا النوع من التطور، تندرج في المباحث الآتية:

المبحث الأول: انتقال دلالة اللفظ من التجسيد إلى التجريد

ممّا يسلّم به في علم اللغة الحديث أن اللغات تنتقل من الإشارة إلى العبارة، ومن المحسوس إلى المجرد، لذلك فانّ «اللغة في المجتمع البدائي كثيرة المفردات فيما يتعلق بالأشياء المحسوسة والأمور الجزئية، قليلة الألفاظ التي تدلّ على المعاني الكلية...ولا يزال قسم من هذه اللغات البدائية يعتمد حتى الآن اعتماداً كبيراً على الإشارات اليدوية والجسمية لإعطاء المعنى المقصود من الألفاظ التي ينطقونها إلى درجة أنّ الأهالي يوقدون النار ليلاً لكي يتمكنوا من فهم ما يقال»[٢٥].

ويجمع الباحثون في نشأة اللغات وتطور الدلالة على أنّ التجريد يرجع إلى مرحلة متقدمة من تطوّر اللغة في المجتمع الإنساني، وأنّ التطوّر الاجتماعي والثقافي للمجتمعات الإنسانية يعدّ من أهم الأسباب التي تؤدي إلى انتقال الدلالة من مجال التجسيد إلى مجال التجريد.

فالإنسان يبدأ أولاً بما يدلّ على المحسوس، ثمّ يتطور إلى استعمال الدلالات المجردة، وكلما ارتقى التفكير العقلي جنح إلى استخراج الدلالات المجردة وتوليدها والاعتماد عليها في الاستعمال، وتزداد تلك الدلالات وتنمو مع نماء ثقافة المجتمع وتكامل أسباب تقدمه الحضاري[٢٦].

وذهب بعض علماء النفس إلى «أنّ لغات البدائيين فقيرة بالكلمات المجردة، وقالوا: من حقنا القول إنّ تفكير هؤلاء محصورٌ بالتشخيص، وإنّهم ليسوا قادرين على التجريد» [٢٧].

ويمكن أن يُستدلّ على صحّة ذلك، بالمراحل الأولى التي يمرّ بها الطفل في اكتساب اللغة، فانّ« من أول ما يحصّله الطفل معاني المحسوسات، لا سيما معاني الكلمات الدالة على أعضاء الجسم الإنساني، وعلى الأدوات والموضوعات التي يستعملها...ولكن تحصيل هذه المعاني المحسوسة نفسها يستغرق منه وقتاً، فهو قد يسمي كلاً من الخروف والبقرة والحصان حماراً، وقد يطلق على أنفه كلمة (عين)، ولكنه عندما يتحقق من أنّ العين عينٌ، نراه يطلقها على عين أمّه أو أخته، وعلى عين زائر من الزوار، بل قد يوسّع ذلك فيطلقها على عين القطة وعين الديك مثلاً » [٢٨]، وعند تطور محصوله الفكري والثقافي قد يطلقها على معانيَ تجريدية كعين الحقّ وعين العدل.

من هنا تعرف المجتمعات البشرية في أوليتها أعضاء الجسم، ومن ثمّ تربط بين أعضاء الجسم والانفعالات، وغالباً ما يكون ذلك من خلال إلحاق صفةٍ بالعضو ليتحول من المادي إلى المجرد، وينقل عن (يوجين نيدا) في كتابه (نحو علم للترجمة) بعض ما استطاعت الدراسات أن تحصيه من ذلك لدى

القبائل والشعوب التي تحيا حياةً أقرب ما تكون إلى الأشكال الأولى للمجتمعات البشرية « فعلى سبيل المثال يتكلم سكان الموسيس في فولتا العليا[٢٩] عن معظم الحالات العاطفية في ضوء القلب؛ مثلاً: (القلب عذب) تعني الفرح، و(القلب متلوف) تعني الحزن، و(القلب متعتّم) تعني الخنوع، و(القلب مجدب) تعني الغيرة.

وفي لغة الكونوب في غواتيمالا[٣٠] تعدّ الأمعاء مركز الحياة العاطفية، وفي لغة المارشال في ميكرونسيا[٣١] يوصف عددٌ من الحالات النفسية استناداً إلى الحنجرة، وفي بعض اللهجات الميلانسية في نيوكاليدونيا[٣٢] يعدّ الجلد عضواً مهماً في الحياة الوجدانية، وفي لغات أخرى خفيضة يمكن أن تستعمل المرارة والكلى والأحشاء كعناصر مركزية في وصف الحالات النفسية...وللعربية أيضاً قدرتها على التوليد والخلق بعد أن تجعل الكلمة المادية بؤرة تشعّ الاستخدامات المختلفة» [٣٣]. أي إنّ اللفظة الحسية الواحدة تتوالى عليها الحقائق المعنوية مع تعاقب الاستعمال فتكثر ظلالها الدلالية.

وهذه الظاهرة في نقل الدلالة من مجال المحسوس إلى مجال الدلالات المجردة، قد تُعدُّ من المجازات أو الكنايات والإيماءات الشائعة في لغة العرب « لكنّها ليست ذلك المجاز الفني أو البلاغي الذي يعمد إليه أهل الفن والأدب، فلا يكاد يثير دهشةً أو غرابةً في ذهن السامع، فليس المراد منه إثارة العاطفة أو انفعال النفس، بل هدفه الأساسي الاستعانة على التعبير عن العقليات والمعاني المجردة، فهو لهذا يعدّ مرحلة تاريخية متميزة لتطور الدلالة عند الأمم، في حين أنّ المجاز البلاغي لا يتوقف وجوده أو شيوعه على تطور العصور التاريخية، بل يتوقف على ما يشيع بين الناس من جنوح إلى العاطفة والخيال، أو من حدّة في المزاج والانفعال النفسي في عصرٍ من العصور» [٣٤].

إن التعبير عن المعاني المجردة، على نحو الاستعارة أو المجاز وعلاقاته المختلفة، يعكس قابلية الألفاظ على التنوّع، ويظهر ما فيها من كوامن معنوية يمكن الإفادة منها[٣٥]، فالمجاز والاستعارة والكناية تخرج الألفاظ من الجمود والرتابة، ممّا يمنحها حيوية وفاعلية[٣٦].

ومن الاستعارات الشائعة استخدام الكلمات ذات المعاني المادية المحسوسة للدلالة على المعاني المجردة، استعمال (دفن الأسرار) للتعبير عن الكتمان، قال ابن دريد: والدفن :دفن الميت، ثم قيل دفن سرّه، إذا كتمه[٣٧]. ونحو قولهم: جَسَّمَ المشكلة، وعَقَّدَ المناقشة، ورَكَّزَ الفكرة[٣٨]. وفي هذا الإطار يبرز التشبيه بين المعنى المركزي الحسي وامتداداته وظلاله المجردة.

وقد نجد صعوبة في القبض على العلاقة بين المعنى

الحسي وظلاله المجردة، لبعد الصلة بينهما، ومن ذلك أننا نستعمل لفظة (الامتياز) اليوم« بمعنى التفوق والأفضلية، وهي في الأصل بمعنى انفصال الشيء عن غيره، فتقول: مزت الشيء أميزه، أي فصلته، فامتاز أي انفصل، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَامْتَازُواْ الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾[٣٩]،أي انفصلوا[٤٠] فإذا كان الانفصال إنّما يكون لسبب أو صفة تجعل الشيء منفصلاً عن غيره، فقد اقترن بالامتياز معنى الاختلاف والتباين، ثمّ انتقلوا من ذلك إلى معنى التفضيل، وهو معنى حادث مشتق من المعنى الأصلي الذي هو التفريق والفصل» [٤١]. لكنّ معايير التفريق والفصل لا تدلّ دائماً على التفوق والأفضلية.

ومن الكنايات الواردة في لغة العرب، التي تعبّر عن المجردات بألفاظ حسية، نحو تعبيرهم عن الشرف وعلو المنزلة بمناط الثريا[٤٢]، وتعبيرهم عن الجود بقولهم: غمر الرداء، وعن البذل بقولهم: فدىً له ثوبي، وقولهم: هو واسع جيب الكمّ، وعن الخفّة والرشاقة بقولهم: طَرِب العنان[٤٣] .

والاستعمال الاستعاري أو المجازي أو الكنائي قد يتقادم عليه الزمن وكثرة الاستعمال، حتى تكون دلالته المجازية أقرب إلى الذهن من دلالته الأصلية، وذلك نحو لفظ (المَجْد)، الذي أصله امتلاء بطن الدابة من العلَف، ثمّ قالوا: مَجُدَ فلان فهو ماجد، إذا امتلأ كرَماً[٤٤].

ولفظ: (الطمع) في الأصل معناه رزق الجند، و(السفاهة) في الأصل من سفهت الطعنة: إذا أسرع منها الدم وجفّ [٤٥]. و(العقل) مأخوذ من الربط، وأصله مصدر عقلت البعير بالعقال أعقله عقلاً، والعِقال: حبل يُثنَى به يد البعير إلى ركبتيه فيشدُّ به [٤٦]. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (أعقلها وتوكل) [٤٧]. أي اربطها بحبل وتوكّل، والعقال: الذي يوضع على الرأس؛ لأنه يعقل الكوفية، ثم نقل من معناه الحسي إلى المعنى الفلسفي، وهو القوة الخفية في النفس البشرية التي تمسك الإنسان فلا يجمح ولا يضل[٤٨].

فلم تعد المعاني المجردة تثير دهشةً أو انفعالاً، أمّا المعاني المحسوسة فقد آل بعضها إلى النسيان والاندثار، وهكذا تتوالى المعاني على الكلمة الواحدة فينسخ بعضها بعضاً.

ومّما تقدم تبين أنّ التطور الاجتماعي والثقافي والرقّي العقلي، تعدّ أموراً مهمة في مجال انتقال دلالات الألفاظ من التجسيد إلى التجريد، فبعد أن أشرق نور الإسلام تحولت دلالات ألفاظ كثيرة كانت تحمل معانيَ محسوسة، ثم تطورت لتعّبر عن معاني مجردة، لم تكن معروفة بها في بيئة العرب مع أنها مأخوذة من ألفاظهم.

وقد كان اللغويون الأوائل بل حتى بعض رجال الصدر الإسلامي الأول واعين لهذا الجانب من

جوانب التطور اللغوي عارفين عللـه ومظاهره، فقد جاء عن ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً ﴾[٤٩]، أنه قال:« الحَرَج هو المَوْضِع الكثير الشَّجَر الذي لا تَصِلُ إليه الرّاعِيَة، وكذلك صَدْرُ الكافِرِ لا تَصِلُ إليه الحِكْمَةُ» [٥٠]. فهو يشير إلى انتقال المعنى الحسيّ إلى المعنى المجرد، ويربط بينهما دلالياً.

وعرض ابن فارس في كتاب (الصاحبي) باب الأسباب الإسلامية مجموعةً من الألفاظ التي أصابها التطور الدلالي بسبب التحول الاجتماعي والثقافي الذي أحدثه الإسلام في الحياة العربية، وبيّن المنطلق المحسوس لعدد منها.

ومن ذلك لفظ (الكفر) ولفظ (النفاق)، يقول ابن فارس:« فكان مّما جاء فِي الإسلام - ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق... وكَانَتْ العرب لا تعرف من الكُفر إلاَّ الغِطاء والسِّتْر. فأمّا المنافق فاسمٌ جاء بِهِ الإسلام لقوم أَبْطنوا غير مَا أظهروه، وَكَانَ الأصل من نافقاء اليَرْبوع. وَلَمْ يعرفوا فِي الفِسْق إلاَّ قولهم: فَسَقَتِ الرُّطبة، إذَا خرجت من قِشرها، وجاء الشرع بأن الفِسق الإفحاش فِي الخروج عن طاعة الله جلّ ثناؤه»[٥١].

ومنه أيضاً كلمة (الغفران) أصل معناها الستر والتغطية، وهو معنى حسي، ثم تطورت دلالتها في الإسلام إلى معنى الصفح والتجاوز عن الذنوب، وهو أمر معنوي، قال أبو حاتم الرازي في معنى (الغفور):« والمغفرة الستر، كأنه يستر ذنوب العباد إذا رضي عنهم، فلا يكشفها للخلائق... وأصلـه من غفرت الشيء إذا غطّيته» [٥٢].

وكلمة (الطبع) كانت تدلّ على معانيَ حسية كالختم والنقش والتصوير والصدأ، فيقال: طبعت السكة والدراهم والسيوف، ثم تطورت دلالتها فأصبحت تدلّ على معانيَ مجردة، كالخليقة والسجية والختم على قلب الكافر[٥٣].

وكلمة (الاستنباط) كانت تعني استخراج الماء من البئر[٥٤]، وهذا هو المعنى الحسي لها، ثم انتقلت من مضمار المحسوس المادي إلى مضمار المعنوي المجرد، قال تعالى: ﴿ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُم ﴾[٥٥]. فمن دلالاتها المجردة: استخراج الآراء العلمية، والاجتهاد في المسائل الفقهية، والسؤال عن الأحكام الشرعية « فكما أن المرء يستخرج الماء ويستنبطه من غامض الأرض، فكذلك شأنه وهو يستخرج رأيه أو علمه عند تقليب الأمور واستشراف أغوارها، فكلاهما استنباط» [٥٦].

ولفظ (البركة) يطلق على ثبات وبقاء وإدامة العطاء، نحو: (بارِكْ على محمد وعلى آل محمد)، أي أَثْبِتْ له وأدم ما أعطيته من التشريف والكرامة. وهذا المعنى المجرد مشتق من بَرَكَ البعير إذا أناخ في

موضع فلزمه. ويقال: فلان ليس له مَبْرَكُ جَمَلٍ، وكل شيء ثبت وأقام، فقد بَرَكَ. وتطلق البَرَكَةُ أيضاً على الزيادة، والأَصلُ الأَولُ[٥٧].

ولفظ (الفتنة) يعني الاختبار والامتحان والابتلاء، قال ابن فارس:« الفاء والتاء والنون أصلٌ صحيح يدلُّ على ابتلاء واختبار، من ذلك الفِتْنة. يقال: فَتَنْتُ أفتِنُ فَتْناً. وفَتَنْتُ الذّهبَ بالنّار، إذا امتحنتَه. وهو مفتونٌ وفَتِين. والفَتَّان: الشَّيطان. ويقال: فتنه وأفْتَنَه» [٥٨].

وذلك يدلّ على أن هذه اللفظة« في سابق عهدها كانت تستعمل في إذابة الذهب والفضة وإحراقها، ثم انتقلت إلى إحراق كل شيء، ولمّا كان في إذابة الذهب والفضة اختبار لهما في تمييز الجيد والرديء، نقل هذا المعنى إلى الاستعمال في معرض اختبار الناس وامتحانهم، ولا يخفى على ذي نُهية أن المعنى الجامع الذي أشار إليه ابن فارس يستقطب تلكم الاستعمالات والمعاني نحو المعنى القطب» [٥٩].

ومن الألفاظ المحسوسة التي طوّرها الفكر إلى ألفاظ مجردة، لتعبّر عن نموه وتطوره، لفظة (المروءة)، وأصلها في اللغة من كلمة (المرء)، ومعناها: الرجل المكتمل، وهذه اللفظة في معناها الحسي لا تدلّ إلاّ على الشخص، وهي تدلّ على ما في الرجل من صفات مثل القوة والهمة والشعور بالرجولة والنخوة والشهامة والأمانة وغيرها[٦٠].

وكلمة (الروح) أصلها من لفظ (الريح)، وهو الهواء، ثمّ النفس الذي يردده الإنسان في صدره شهيقاً وزفيراً، وقد سمّي كلّ ما تحمله الريح وتمضي ويشمّه الإنسان عند التنفس رائحة، وسمّيت الراحة لليد لاتساعها وانبساطها، ولمّا كان تردد الريح في صدر الإنسان هو أوضح العلامات على أنه حيّ لم يمت، اشتقّ من ذلك لفظ الروح بمعنى سرّ الحياة المجرد المهمّ في الكائن الحيّ، ولاشتقاق الروح من الريح، جاء لفظها في القرآن الكريم مستعملاً مع الفعل (نفخ) في قوله تعالى:﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾[٦١].

وكلمة (النَفْس) أصلها من مادة (النَفَس)، أي استنشاق الهواء، شهيقاً وزفيراً، ومن ذلك استعملت النَفْس بمعنى الكائن المحتوي على سرّ الحياة؛ لأنه يتنفّس؛ ثمّ سمّيت المرأة التي وضعت حملها نُفَساء، إذ خرجت من بطنها نفس أخرى حية[٦٢].

ولفظة (العقيدة) وأصلها من الفعل (عقد)، وهو أن يربط الإنسان عقدة في حبل، أو قطعة من النسيج، والعقيدة: هي الشيء الثمين الذي يصرّ ويربط ويعقد عليه الرباط حتى لا يضيع، وكذلك كان الرجل القديم يعقد خيطاً، أو خصلةً من الشعر أو الصوف على إصبعه ليتذكر شيئاً هاماً ولا ينساه، ثمّ استعملت كلمة العقيدة فلسفياً للدلالة على ما استقر في قلب الإنسان من فكرة دينية أو سياسية أو اجتماعية، ويحرص عليها، ويتعصّب لها، وكأنها شيء ثمين عقد عليه قلبه حتى لا يضيع[٦٣].

وكلمة (الشرف) مأخوذة من (الشرفة)، وهي الارتفاع؛ لأنّ من يقف عليها يشرف على غيرها، أي يستطيع أن يكتشف ما دونها، فانتقلت من المعنى الحسي إلى المعنى المجرد. ومنها الإشراف على البحوث العلمية، والإشراف الاجتماعي ونحوها. ثمّ أصبحت تدلّ على مجموع حيثيات بعضها بالنسب، وبعضها بالحسب، تجعل الإنسان معنوياً أرفع منزلةً من غيره[٦٤]. فقالوا: لفلان شرف، وهو علو المنزلة، وهو شريف من الأشراف، وشرّفه الله تعالى[٦٥].

ولفظ (القلق) يدل على الحركة والاضطراب، وهو الآن مصطلح نفسي يدلّ على حالة من عدم الاستواء[٦٦]. ولفظ (الحقد) أصله من حقد المطر احتبس، وحقدت الناقة امتلأت شحماً، ولفظ (المدح) من مدحت الأرض والخاصرة اتسعتا، و(الذكاء) من ذكت النار اشتدّ لهبها [٦٧]. كلّ ذلك تطور مع احتياجات الفكر للتعبير عن ضرورات الاستعمال.

إن انتقال دلالات الألفاظ من التجسيد إلى التجريد يتمّ عادة في صورة تدريجية، ثمّ قد تنزوي الدلالة المحسوسة، وقد تندثر، فاسحةً مجالها للدلالة التجريدية، وقد تظلّ مستعملةً جنباً إلى جنب مع الدلالة التجريدية لفترة تطول أو تقصر[٦٨].

ومن الألفاظ التي بقيت دلالاتها المحسوسة جنباً إلى جنب مع دلالاتها التجريدية، لفظة (الطعن) التي « كانت تستعمل في العصر الجاهلي للضرب بالرمح، ثمّ استعملت بعد الإسلام في علم الحديث والرواية، فيقال: فلان مطعون في روايته، ثمّ استعملت في العصر الحديث بمعنى قضائي خاص، كالطعن في الدعاوى والانتخابات، وبقيت هذه المعاني كلّها ملازمة للكلمة، ويعيّن أحدها سياق الكلام» [٦٩].

ومن ذلك لفظ (السلوك) الذي يعود إلى أصل حسي، وهو السلك الذي ينظم به الخيط ونحوه، والمسلك: وهو الطريق، ثمّ أطلق اللفظ على معانيَ مجردة، منها: سيرة الإنسان ومذهبه واتجاهه، وغدا اصطلاحاً صوفياً منذ العصر العباسي، ثم اصطلاحاً حديثاً في علم النفس، يراد به الاستجابة الكلية التي يبديها كائن حي إزاء أي موقف يواجهه[٧٠].

ولفظة (البحث) التي تعني طلبك الشيء في التراب[٧١] « ثم تُوسّع في دلالة الكلمة من المادي إلى المعنوي، ومن مجال الحسّ إلى مجال الفكر، فأصبحت تطلق على بذل الجهد في موضوع ما، وجمع المسائل التي تتصل به» [٧٢].

وكلمة (منطق) في الجاهلية وصدر الإسلام تطلق على الحديث والكلام، وفي العصر العباسي صارت تفيد معنى القياس العقلي المقتبس من اليونان، وخاصة لدى علماء الكلام والفلسفة[٧٣].

ولعلّ خير من عبّر عن التأصيل ووحدة المكوّن الدلالي بين المحسوس والمجرد من القدماء، هو ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) في (معجم مقاييس اللغة)، فقد تتبع

في كل كلمة معانيها مبتدئاً بما سمّاه الأصل في كل منها، وهو المعنى الحسيّ الذي ترد إليه وتتفرع عنه سائر المعاني، وقد يرد المادة إلى أكثر من أصل، ثمّ يحاول ربط المعاني الفرعية الحادثة بالمعنى الأصلي القديم، وهو أمر تفرّد به عن سائر المعاجم العربية، فقد ذكر المعاني المشتركة المحسوسة والمجردة التي يؤديها الأصل الواحد، موضحاً أن المعنى يبدأ بأصل لغوي عام، ثم تتعاقب الانتقالات الدلالية على اللفظة بتعاقب الاستعمال عليها لتصبح حقائق دلالية لها.

وتناول الدكتور فايز الداية صوراً وأمثلةً للتطور الدلالي العربي بالانتقال من المجال المحسوس إلى مجال المفهومات الذهنية المجردة، في ضوء دراسته لجهود النقد العربي للشعر في القرن الرابع الهجري، وقد توخّى الربط بين المجالين الدلاليين من خلال وحدة المكون الدلالي[٧٤].

والدراسات التي تركّز على هذا النوع من التطور الدلالي، إنّما تسهم في الكشف عن الأصول والفروع، أو ما يسمى بعلم التأثيل، الذي يعزز مادة المعجم التاريخي، مثلما يسهم علم اللغة المقارن على مستوى الأصوات والصرف والنحو في صناعة هذا المعجم.

أثر التجسيد والتجريد في الاشتقاق

معروف أنّ المشتقات يسبق بعضها بعضاً في الوجود، لكن ليس من اليسير دائماً أن ندرك أسبقها، وأن نعيّن متى استعملت مادتها الأصلية أول مرة، ومتى بدأت تدلّ على معنىً خاص، إلاّ أنّ اللغويين يرجّحون اشتقاق المجرد من المحسوس، أو تحوّل اللفظ من الدلالة المحسوسة إلى الدلالة المجردة، بناءً على ما قدمناه من خضوع هذا التحوّل لسنن التطور اللغوي، ومقتضيات علم اللغة الحديث الذي يقرر أنّ اللفظ المحسوس أسبق في الوجود من المعنوي المجرد؛ لأنّ الشيء المحسوس أقرب بطبعه إلى الفهم من المعقول، فالفكرة تتجسد في هيئة مادية تخضع لمعطيات الحواس التي تشكّلها التشكيل المناسب.

يقول إبراهيم أنيس:« ومع أنّ المحدثين ينادون بوجوب الحيطة والحذر والاعتدال في الربط بين الدلالات، لا يشكّون في أنّ كثيراً جداً من الألفاظ التي تعبّر عن دلالات مجردة، قد انحدرت إلينا من دلالات محسوسة»[٧٥]. فالدلالة المحسوسة هي الأسبق في الاشتقاق؛ لأنّ رتبة المشتق منه تكون أسبق من المشتق نفسه[٧٦].

وقد رصد علماء اللغة العربية القدامى والمحدثون هذه الظاهرة، يقول الدكتور صبحي الصالح مشيراً إلى سبق ابن جني إلى ذلك، معززاً قوله ببعض الأمثلة:« إننا نرجّح دائما أنّ المحسوس أسبق في الوجود من المعنوي المجرد، وهذا ما يجعلنا ننتصر للرأي القائل بأنّ أصل المشتقات هي الأسماء لا الأفعال، ولاسيما أسماء الأعيان... ولقد كان ابن جني صرّح من قبل بأنّ المصدر مشتق من الجوهر، كالنبات من (النبت)،

والاستحجار من (الحجر)[٧٧]،فجعل المصدر نفسه- وهو أصل الاشتقاق- مأخوذاً من اسم الجوهر، أي: اسم العين... ولكن موازنة العلماء في أصل الاشتقاق ينبغي أن تكون بين المصادر التي هي أسماء معاني، وبين الجواهر التي هي أسماء أعيان.

وعلى قلّة ما حفل بالجواهر في هذا الباب، وعلى ضآلة ما وفروا من شواهد، لا نجد هذه الجواهر إلّا أصولاً للاشتقاق معروفة، موضوعة قبل أن تعرف أسماء المعاني أو توضع، فمن ذا الذي يصدق أنّ مصدر التأبّل - أي اتخاذ الإبل- قد وضع قبل أن يوضع لفظ (إبل) نفسه؟ أو أن مصدر التأرّض- اللصوق بالأرض- قد وضع قبل لفظ (الأرض)؟ وأن مصدر الاحتضان وضع قبل لفظ (الحضن)، أو التضلّع قبل (الضلع)، أو التبحّر قبل (البحر)، أو السمو قبل (السماء)؟

إنّ البداهة تقتضي وجود أسماء الأعيان المشاهدة المرئية التي تناولتها الحواس قبل أسماء المعاني التي تطورت وانتقلت من مضايق الحسّ إلى آفاق النفس، وما عُلم أنه أقدم فهو أجدر أن يكون الأصل ...فمن الرأس ذاته اشتقوا (رأسته)، إذا ما أصبت رأسه، ومن اليأفوخ (أفخته)، إذا ضربت يأفوخه، فان ضربت دماغه قلت (دمغته)، وان حاذيت صدغه بصدغك في المشي، فقد (صدغته)»[٧٨].

وهذا ينطبق على أسماء الأعيان والجواهر التي اتفق أغلب اللغويين على أنها أسبق من الأفعال والمصادر؛ لأنّ المحسوس أسبق رتبةً من المجرد، ولا يصلح ذلك دليلاً على أنّ أصل المشتقات هي الأسماء لا الأفعال، بل المسألة خلافية، نأتي على ذكرها في المبحث الآتي.

وأورد الدكتور إبراهيم أنيس بضعة أمثلة من كتاب (أساس البلاغة) للزمخشري، تؤيد أنّ المدرك الحسيّ أسبق إلى الذهن من المدرك المعنوي، وأنّ أجناس الأعيان أسبق من أجناس المعاني ومنها المصادر، وأنها مصدر الاشتقاق لغيرها من الكلمات، وهي:

١- الجُبن، مشتق من الجبّانة والجبّان، وهي الصحراء.

٢- جثم الطائر، مشتقّ من الجثمان.

٣- دبّج بمعنى زيّن، مشتقّ من الديباج.

٤- جدّثوه، غيّبوه في الجدث.

٥- خيّم الظلام، من الخيمة[٧٩].

ومنها (الشجاعة) من الأشجع وهو الأسد، والشَّجع هو الطول، و(الكره) من الكريهة وهي الأرض الغليظة الصلبة أو الحرب، و(التفاؤل) من الفِئال ككتاب: لعبة الصبيان، يخبئون الشيء في التراب ثم يقتسمونه، ويقولون في أيها هو؟ [٨٠].

فهذه المصادر أخذت من أسماء أعيان أو جواهر محسوسة سبقتها في الوجود، بيد أنّ معاجم اللغة

وغيرها لا تسعفنا في معرفة جميع المعاني الأصلية للمجردات، كالجوع والعطش والرعب والخوف وغيرها؛ ولعلّ ذلك يرجع إلى أنّ تلك المجردات موغلة في القدم، ولا سبيل إلى التوغّل في تاريخ الإنسان لنعرف كيف عرف الجوع والعطش، أو الخوف والفرح أول مرة، وكيف بدأ يشتقّ كلمات تعبّر عنها[٨١].

أثر التجسيد والتجريد في المشترك اللفظي

قيل في حدّ المشترك اللفظي: إنه اللفظ الواحد الدالّ على معنيين مختلفين فأكثر دلالةً على السواء عند أهل تلك اللّغة[٨٢]. وتسهم معرفة التجسيد والتجريد في تشخيص المعنى الأصلي من معاني المشترك اللفظي، فانّ« كثيراً من الكلمات التي تسمّى بالمشترك اللفظي تجمع بين معنيين؛ أحدهما حسّي، والآخر معنوي، ولا شك أنّ المعنى الأصلي في مثل هذه الحالة هو الحسيّ، وأنّ المعنوي فرعٌ عنه»[٨٣].

وعلى وفق حدّ الاشتراك المتقدم، إذا ثبت لنا أنّ اللفظ الواحد قد يعبِّر عن معنيين متباينين، سمَّينا هذا بالمشترك اللفظي، أمّا إذا اتضح أن أحد المعنيين حسيّ، وأن الآخر مجرد، فلا يصحّ أن يعدّ مثلُ هذا مِن المشترك اللفظي؛ لأنهما يعودان لمعنىً واحد، وينطبق ذلك على كل لفظ حقيقي اكتسب بالاستعارة أو علاقات المجاز معنىً جديداً[٨٤].

فلفظ (الوِزر)، بالكسر الحِمل، ويطلق على الذنب، قال ابن فارس:« والوِزْر: حِمْل الرَّجل إذا بَسَطَ ثوبَه فجعل فيه المتاعَ وحَمَله، ولذلك سمِّي الذَّنْب وِزْراً»[٨٥]. فقد سمّي الوزر ذنباً تجوزاً وتشبيهاً؛ لانّ المرء إذا ما اجترحه فانه يحمله ويتقلده، وليس يخفى أنّ هذا التطور الدلالي هو انتقال من مضمار المحسوس الذي هو الحمل الثقيل إلى مضمار المجرد الذي هو الذنب[٨٦].

و(النجاة) مثلاً تطلق على الناقة التي يُنجى عليها[٨٧]، وعلى طاعة الله المؤدية إلى الجنّة. وأصل (العصمة) شيء مادي محسوس، وهو التمسّك بعُرف الفرس لئلا يسقط صاحبه ويصرعه[٨٨]، ثمّ تحولت إلى أشياء مجردة، فتطلق على ملكة إلهية تمنع من فعل المعصية والميل إليها مع القدرة عليها، وعلى رباط الزوجية[٨٩]. والجامع بين الدلالتين هو الإمساكِ والمنْع والملازمة[٩٠].

فإذا عُدّت المعاني الأُوَل أصلاً، فانّه يخرجها من حدّ الاشتراك؛ لرجوع المعنيين إلى أصل معنوي واحد يشتركان فيه، فدلالة اللفظ على المعنيين المختلفين لم تكن دلالةً على السواء، بل جاءت بسبب التجريد الناشئ من التطور الفكري والثقافي، وينطبق ذلك على أغلب الأمثلة التي تقدمت في أول المبحث.

وإذا كان المشترك اللفظي متحداً بالحروف مختلفاً بفونيم الحركة الذي يفرّق بين ما هو حسي وما هو مجرد، أو بين محسوسين، عند ذاك لا يكون

اللفظ واحداً، فيخرج عن حد المشترك أيضاً، ومن ذلك لفظ (العلاقة)، جاء في كتاب (التعريفات) للجرجاني:«العِلاقة بكسر العين يستعمل في المحسوسات، وبالفتح في المعاني» [٩١].وفي الصحاح: «والعِلاقة بالكسر: علاقة القوس والسوط ونحوهما. والعَلاقة بالفتح: علاقة الخصومة، وعلاقة الحبّ» [٩٢].

ومنه لفظ (الوزر)، الذي يطلق على معنيين محسوسين في أصل اللغة يفرق بينهما فونيم الحركة، قال ابن فارس:« الواو والزاء والراء أصلانِ صحيحان: أحدهما الملجأ، والآخَر الثِّقَل في الشَّيء. الأوَّل الوَزَر: الملجأ. قال الله تعالى: ﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴾[٩٣]. ..والوِزْر: حِمْل الرَّجل إذا بَسَطَ ثوبَه فجعل فيه المتاعَ وحَمَله...» [٩٤]. والاشتراك في مثل هذه الحال مختلّ باختلاف صورة اللفظين الحسيين، ممّا يخرجهما عن حد المشترك مع أنهما يدلان على معنيين مختلفين على السواء عند أهل اللّغة، وأمثلة ذلك كثيرة في معاجم اللغة وغيرها.

المبحث الثاني: انتقال دلالة اللفظ من التجريد إلى التجسيد

تبيّن ممّا تقدّم أن أغلب اللغويين يتفقون على أنّ الدلالة تتجه في تطورها من التجسيد إلى التجريد، وهذا هو الاتجاه الظاهر في تطور الألفاظ والأكثر شيوعاً من الانتقال في الاتجاه المعاكس، أي من التجريد إلى التجسيد، بيد أنّ بعض الغلاة في الاشتقاق يرى أنّ المصادر التي تمثل قيماً مجردة، قد تسبق الأعيان التي تمثل قيماً محسوسة، وذلك في موارد محدودة، نذكر أهمها:

أولاً- ورد عن أبي عمرو بن العلاء(ت١٥٤هـ) أنه سئل عن اشتقاق الخيل، فذكر أنها من الخُيَلاء، وأردف مؤيداً ذلك بقوله: «ألا تراها تمشي العَرضْنَة خيلاءً وتكبّراً»[٩٥]. وجعل الدكتور إبراهيم أنيس ذلك من الزلل، وقال: « ليت شعري! كيف يمكن هذا مع أنّ الناس قد عرفوا الخيل قبل أن يعرفوا الخيلاء! فإذا صحّ أنّ هناك علاقةً بين الخيل والخيلاء، فالأولى أن يقال إنّ الخيلاء من الخيل لا العكس» [٩٦].

وقالوا: إن لفظ (اليتيم) مشتق من (اليُتْم)، وذكر المفضّل أنّ أَصل اليُتْم الغفْلةُ، وسمي اليَتِيمُ يَتِيماً؛ لأَنه يُتَغافَلُ عن بَرِّه. وذكر أبو عمرو (١٥٤هـ) أنّ اليُتْم الإبطاء، ومنه أُخذ اليتيم؛ لأَن البِرَّ يُبْطِئُ عنه[٩٧].

ويقول ابن دريد(ت٣٢١هـ): « الفَردسة: السَّعة؛ صدر مفردَس: واسع، ومنه اشتقاق الفِرْدَوس، والله أعلم»[٩٨]. هذا مع أنّ الفردوس أصله روميّ معرّب[٩٩]، وإذا صحّ الاشتقاق منه لاستعماله بعد التعريب استعمال الألفاظ العربية، فانّه خلاف الأصل؛ لأنه جعل الأصل فرعاً، والفرع أصلاً.

ويتوسّع ابن دريد في هذا الاشتقاق المعكوس، فيقول: « واشتقاق النَّمر من التنمّر، وهو التوعُّد والتهدُّد.

يقال: تنَمَّر فلانٌ لفلانٍ: إذا أظهرَ تهدُّداً، وأصلُه من شراسة الخُلق، وبه سمِّي النَّمِر السَّبعُ المعروف» [١٠٠].

ويقول ابن فارس(ت٣٩٥هـ): « أجمع أهل اللغة - إلاَّ من شذَّ منهم - أنّ للغة العرب قياساً، وأنّ العرب تشتقُّ بعض الكلام من بعض، وأنّ اسم الجنّ مشتقٌّ من الاجْتنان» [١٠١].

وزعم بعضهم أنّ إبليس مشتق من الإبلاس، وهو القنوط واليأس من رحمة الله تعالى، وقيل: الانكسار والحزن[١٠٢]، ويرى آخر أنّ جهنّم مأخوذة من الجهامة، وهي كراهة المنظر[١٠٣]، ورحِم المرأة اشتقاقها من الرحمة[١٠٤]. وكلّ ذلك خلاف الأصل أيضاً؛ لكون الجواهر قبل المصادر، والأعيان قبل المعاني، كما تقرر عن ابن جني[١٠٥].

وإذا كان المصدر أصلاً يُنتزع منه سائر المشتقات على وفق الرؤية البصرية، فإنّ ذلك لا يمكن قبوله في كلّ الأحوال، ولاسيما في الأمثلة المتقدمة عن أبي عمرو بن العلاء وابن دريد وابن فارس وغيرهم؛ لأنّ القول بتقدم الخيلاء على الخيل، والاجتنان على الجنّ، والتنمّر على النمر، والإبلاس على إبليس، والجهامة على جهنم، والرحمة على الرَحِم، يعدّ من المسائل الافتراضية المخالفة لأصول علم اللغة الحديث الذي يرى أنّ التجسيد قبل التجريد.

من هنا يقول الدكتور مصطفى جواد معترضاً على مذهب البصريين في الاشتقاق:« فاللغات سارت في أطوارها من الإشارة إلى العبارة، ومن التجسيد إلى التجريد، فكيف يكون المصدر أصل المشتقات، وهو من التجريد؟!...والتحقيق عندي أنّ المادة وما جرى مجراها من مشهود ومسموع أصلاً للاشتقاق، وأنّ دعوى ذلك لاسم المعنى إنما هي مستندةٌ إلى المذهب البصري في كون المصدر أصلاً للمشتقات» [١٠٦].

واختتم كلامه عن مشكلة الصرف العربي التي يرى أنها أشد تعقيداً من مشكلة النحو، بترجيح مذهب الكوفيين في أن الفعل أصل الاشتقاق مستدلاً بثلاثة عشر دليلاً، منها استدلاله على تأخر المصدر في الوجود، بكونك تكتب أولاً ثمّ تسمّي فعلك الكتابة، ويقول:« إنه يجب علينا أن لا نجعل القواعد الصرفية غاية، وهي وسيلة، ولا نبقى متمسكين بمذهب البصريين فيه، فالقول مثلا بأن (المصدر) أصل المشتقات قد أصبح خرافة صرفية ورأياً قائلاً، فالمصدر اسم للفعل وتجريد منه، ولا يوجد الاسم قبل وجود المسمّى، واللغة سارت في أطوارها من الإشارة إلى العبارة، ومن التجسيد إلى التجريد، والفعل تجسيد، والمصدر تجريد، ولفرعية المصدر من الفعل قال النحويون: إن المصدر يعمل عمل فعله، ولم يقولوا: إن الفعل يعمل عمل مصدره، فيجب إخراج رأي البصريين، والأخذ بمذهب الكوفيين في ذلك، فهو المذهب الحق الذي يفيدنا في هذا العصر» [١٠٧].

ومن قبل الدكتور مصطفى جواد، تبنّى السكّاكي

(ت ٦٢٦هـ) هذا الرأي مخالفاً أصحابه البصريين، ومتابعاً للكوفيين في كون الفعل أصلاً للمشتقات، واعتلّ لأصالة الفعل بأنّ المصدر يتبع الفعل في إعلاله وتصحيحه [١٠٨].

ويعزو المستشرق اليهودي الدكتور إسرائيل ولفنسون أصلية الفعل في الاشتقاق إلى مميزات اللغات السامية، فيرى أنّ أغلب الكلمات فيها يرجع في اشتقاقه إلى أصل ذي ثلاثة أحرف، وهو الفعل، ومن ثمّ يُخطّئ ولفنسون مذهب البصريين في أصل الاشتقاق، فيقول:« وقد رأى بعض علماء اللغة العربية أنّ المصدر الاسمي هو الأصل الذي يُشتقّ منه أصل الكلمات والصيغ، لكنّ هذا الرأي خطأ في رأينا؛ لأنّه يجعل أصل الاشتقاق مخالفاً لأصله في جميع أخواتها السامية»[١٠٩].

وادعى ولفنسون أنّ أصل هذا الرأي- أي مذهب البصريين في الاشتقاق- قد تسّرب إلى الدرس الصرفي العربي من الفرس، فقال:« وقد تسرب هذا الرأي إلى هؤلاء العلماء من الفرس الذين بحثوا في اللغة العربية بعقليتهم الآرية، والأصل في الاشتقاق عند الآريين أن يكون من مصدر اسمي. أمّا في اللغات السامية فالفعل هو كل شيء، فمنه تتكون الجملة، ولم يخضع الفعل للاسم والضمير، بل نجد الضمير مسنداً إلى الفعل ومرتبطاً به ارتباطاً وثيقاً»[١١٠]. ويتبنّى هذا الرأي أيضاً الدكتور ربحي كمال[١١١].

ومهما يكن الأمر، فإذا أخذنا بعين الاعتبار أنّ اللغة ظاهرة اجتماعية ترتبط بالفكر منذ بداية نشأتها، ولم تنشأ مكتملة دفعة واحدة، وكذلك الفكر لم يكتمل دفعة واحدة، بل تمّ اكتماله بالانتقال من المشخّص المحسوس إلى المجرد العام، تبين لنا بالضرورة أن الفعل يتقدم على المصدر من حيث الظهور؛ لأنّ أصل الفعل الثلاثي (أو الرباعي) المجرد هو صيغة الفعل الماضي للشخص الثالث المفرد المذكر، وهذه الصيغة التي تفيد الإسناد والزمن الماضي، تعدّ أكثر تشخيصاً من صيغة المصدر التي لا تفيد الإسناد والزمن، بل تفيد المعنى العام المجرد للفعل، أي معنى الحدث مجرداً عن فاعله وزمانه، ومن ثم فإن الصيغة الشخصية المصرفة للفعل في الزمن الماضي أسبق في الظهور من المصدر [١١٢].

ويؤكد ذلك أن نظام المعجم العربي يقوم على الرجوع إلى أصل الفعل المجرد، ولو كان الأصل في الاشتقاق هو المصدر، لأوجب ذلك أن يُبنى نظام المعجم العربي على أساس الانطلاق من المصدر، أمّا اتهام الذين قرروا أنّ المصدر هو الأصل بالأثر الفارسي، فلا يقوم على برهان واضح، ولعلّ السبب الذي حملهم على تبنّي هذا الاعتقاد يعود إلى أنّ دراستهم للموضوع لم تكن تاريخية تطورية للغة ومدى ارتباطها بالفكر[١١٣].

ثانياً- ينتقل اللفظ من التجريد إلى التجسيد لضرورة

الاستعمال وتجدّد الحاجة إلى مفردات محسوسة جديدة قد تشتقّ من المصادر المجردة أو من أخرى محسوسة كما يأتي لاحقاً في المبحث الثالث، وقد عاب إبراهيم أنيس على الزمخشري حين أرجع بعض الألفاظ إلى أصل مجرد، بقوله:« وقد عنى الزمخشري في معجمه (أساس البلاغة) بتبيان المعاني الحقيقية والمجازات للكلمات، ولكنه لم يوفّق في كلّ حالة، فقد ضلّ الطريق حين حاول اشتقاق معنىً حسيّ من آخر معنوي مع أنّ الذي أجمع عليه المحدثون من علماء اللغات هو أنّ المعاني الحسية أسبق في الوجود، وأجدر بأن تعدّ المعاني الحقيقية وغيرها فروعاً لها عن طريق المجاز» [١١٤].

والذي استند إليه الدكتور إبراهيم أنيس هو القاعدة العامة في التطور اللغوي، بيد أن الكلمة قد تتردد في الاستعمال بين التجسيد والتجريد لأكثر من مرة، فقد أطلق (النوء) على السقوط، وعلى النهوض بثقل ومشقة، وعلى النجم، ومن ثم انتقلت الدلالة من النجم إلى معنى مجرد وهو الزمن الذي يتحرك فيه، ومن ثم أطلق على معنى محسوس وهو السحابة التي تنشأ في هذا الوقت، وأطلق على النبات أيضاً[١١٥].

وهناك بعض المصادر المجردة انتقلت إلى دلالة محسوسة في بعض المسميات، وقد خلعوا عليها دلالات جديدة يتطلّبها الاستعمال، ولم يُشر علماء اللغة إلى هذا النوع من الانتقال على الرغم من ارتباطه بالتطور اللغوي، نحو إطلاق لفظ التيمم-وهو في اللغة مصدر مجرد بمعنى القصد-على مسح الوجه واليدين بالتراب[١١٦]، لقوله تعالى:﴿ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾[١١٧].

وقد يطلق المصدر المجرد على مسمّىً ماديّ حديث، مثل: (الإعلان)، أي إظهار الشيء بالنشر عنه في الصحف ونحوها، و(الإسعاف): وهي السيارة يحمل بها المصابون في الحوادث الطارئة. و(الذخيرة): عدة الحرب من رصاص وقذائف. وقد يُجرد ما يدلّ على مكان حدوث الفعل، نحو إطلاق لفظ (مدرسة) على المذهب أو الاتجاه.

ثالثاً- تنتقل دلالة الألفاظ من التجريد إلى التجسيد بطريق المجاز والاستعارة « وغالباً ما يكون ذلك من أجل توضيح الصورة الذهنية المجردة، وجعلها أمراً محسوساً يُرَى ويُسمَع ويُتذوق ويُلمس ويُشَمّ. وهذا النوع من النقل يكثر في لغة الأدب عند المبدعين من الأدباء والشعراء، فنجد المعاني المجردة كالحنان والحقد والصبر والأمل تصبح أشياء محسوسة نكاد نلمسها، فيزداد تأثرنا وانفعالنا بتلك الصورة التي يرسمها لنا المبدع»[١١٨].

وإنّما يرجع ذلك إلى اتخاذ الأديب التجسيد وسيلة من وسائل تشكيل الصورة « وهي وسيلة فنية عرفها شعرنا العربي منذ أقدم عصوره، وتقوم على أساس تشخيص المعاني المجردة ومظاهر الطبيعة الجامدة

في صورة كائنات حية تحس وتتحرك وتنبض بالحياة»[١١٩].

ولا يخلو الكتاب الكريم من هذه الظاهرة، إذ تميزت المفردة القرآنية بتجاوز حدودها المعجمية وإيحاءاتها المعهودة، بالميل إلى تجسيد المعاني المجردة في صورة حسية بهدف تقريب المعنى إلى الأذهان، ليكون أكثر رسوخاً في النفس، وذلك نحو: قوله تعالى: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [١٢٠] لتجسيد معنى العفة والحياء، وقوله تعالى: ﴿ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ﴾ [١٢١] لتجسيد معنى السكينة والاطمئنان، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [١٢٢] لتجسيد معنى الندم، وغير ذلك كثير[١٢٣].

ولا يقتصر ذلك على هذه الاستعارات، بل ذكر الدكتور إبراهيم أنيس أن «أوضح ما تكون تلك العملية فيما يسمّى بالكنايات الأدبية، كأن يكنى عن (الكرم) بكثرة الرماد، وعن (التذلل) بإراقة ماء الوجه.. الخ. فنقل الدلالة المجردة إلى المجال المحسوس ممّا يمهر فيه الأدباء والشعراء وأصحاب الخيال، وهو كثير الورود في الأدب العربي، وهو الذي يستحق أن يسمى بالمجاز البلاغي» [١٢٤].

فإذا كان هذا النوع من الانتقال ممّا يمهر فيه الأدباء والشعراء وأصحاب الخيال، ويكثر في لغة الأدب عند المبدعين من الأدباء والشعراء، فهو من أساليب التصوير الفني في البيان العربي، ولا صلة له بالتطور التاريخي للدلالة، والبحث عن أسبقية اللفظ المحسوس أو المجرد، بل هو من المجاز الفني الذي يصدم المتلقي ويثير فيه دواعي الدهشة والإمتاع.

من هنا فإنّه من الصعب افتراض وجود صلة بين الكنايات المتقدمة ودلالاتها المجردة وبين التطور التاريخي من التجريد إلى التجسيد؛ لأنه لا يمكن الجزم بقدم الدلالات المجردة على الكنايات المعبّرة عنها، نحو قدم الكرم على الرماد، والتذلّل على ماء الوجه، وفي مقابل ذلك يحقّ لنا أن نفترض أيضاً أنّ تلك الكنايات تمثل مرحلة من مراحل التطور الدلالي من المحسوس إلى المجرد، وليس العكس، فربما عبّروا عن الكرم بكثرة الرماد في مرحلة تسبق وجود لفظ الكرم، مثلما عبّروا عن الشرف وعلو المنزلة بمناط الثريا[١٢٥].

ولا يمكن للباحث المدقق أن يصدر حكماً قاطعاً بهذه المسألة مع جهله بالحياة العربية قبل الإسلام، وظروفها الاجتماعية، وانعدام المعجم التاريخي الذي يتابع تطور دلالة الألفاظ عبر التاريخ، وغموض تاريخ الألفاظ وتطور دلالاتها.

المبحث الثالث: انتقال دلالة اللفظ من مجال حسي إلى مجال حسي آخر

تقدّم أنّ المعنى الحسي هو أقدم المعاني إلاّ ما دلّ عليه الدليل، فهو المعنى الحقيقي المرتبط بالبيئة التي

استقرت فيها أصول اللغة، ثمّ ينقل إلى محسوسات أُخر نتيجة الحاجة المتولدة من تطور الحياة في المجتمع اللغوي، والنقل قد يكون بالتخصيص أو التعميم أو تغيير مجال الاستعمال [١٢٦].

وفي هذا النمط من التغيير تظلّ الدلالة في مجالها المحسوس« المتصل بالإنسان والحيوان والأشياء والطبيعة عامة، ولكن استعمالها جعلها تتحول وتتغير أنماطاً تستجيب لذاك التقسيم الذي وصفه اللغويون الأوربيون بأنه منطقي، أي أنّ الدلالات كانت تتجه إمّا نحو الاتساع والتعميم، وإمّا نحو التخصيص، وإمّا طلباً لمجال حسيّ آخر »[١٢٧].

ويراد بالتعميم توسيع المعنى[١٢٨]، ويحصل عند الانتقال من معنى خاص إلى معنى عـــــام[١٢٩]، بحيث يصبح مجال استعمال الكلمة أوسع من ذي قبل، فلفظ (الحشيش) مثلاً في الأصل يستعمل لليابس من الكلأ، وهو قول جمهور أهل اللغة، من حشّ إذا يبس[١٣٠]، وتوسّعت دلالته لتشمل الرطب واليابس[١٣١]، ومن ثمّ تُنوسي المعنى الأول ليقتصر على الرطب فحسب، ويمكن حمل ذلك على إرادة المجاز في الاستعمال باعتبار ما سيكون يابساً؛ لأن المجاز من أهم العوامل في تغير المعنى، فهو باتساعه وقوته وتنوّعه يمهّد طريق اللغة إلى الوفاء بمتطلبات التعبير اللغوي الجديد.

ومن ذلك لفظ (الرحل)، وهو يُطلق على رَحل البعير، وهو أصغر من القَتَب[١٣٢]، وتوسّعت دلالته فأطلق على كلّ شيءٍ يُعدّ للرحيل من وعاء للمتاع ومركب للبعير وحِلْس ورَسَن[١٣٣]، وقيل: توسّعت دلالته على مرحلتين؛ فدلّ أولاً على متاع المسافر الذي يصحبه، ثمّ على الأثاث بكل ما فيه من أدوات[١٣٤].

ومنه كلمة (الزميل) « وكان معناها الرديف على البعير، أو الذي يعمل مع صاحبه على البعير، ثم غدت تفيد في العصر الحاضر الرفيق في العمل أو المهنة، وكأنّ المعنى الخاص نسي، وان كان المعنى الجديد يشمله لأنه أعمّ» [١٣٥].

وأشار قدماء اللغويين إلى ظاهرة التوسع الدلالي، وأفاضوا في أمثلتها، قال ابن دريد(ت ٣٢١هـ): « النَّعْش: معروف، وهو شبيه بالمِحَفّة كان يُحمل فيه الملك إذا مرض، وليس بنعش الميت.... ثمّ كثر ذلك في كلامهم حتى سُمّي النعش الذي يُحمل فيه الميت نَعْشاً» [١٣٦].

وذكر في باب الاستعارات من (الجمهرة) أمثلة كثيرة يبدو فيها أثر التوسع والتغير الدلالي الذي علله بكثرة الاستعمال، منها: المَنيحة، وأصلها أن يُعطيَ الرجلُ الرجلَ الناقةَ أو الشاةَ فيشربَ لبنَها ويجتزَّ وَبَرَها وصوفَها، ثم كثر ذلك فصارت كلّ عطيّة منيحة. والوَغَى: اختلاط الأصوات في الحرب، ثم كثر ذلك حتى صارت الحرب وغىً. والغيث: المطر، ثم صار ما نبت بالغيث غيثاً، يقال: أصابنا غيثٌ،

ورعينا الغيثَ. وقولهم: ساق إليها مَهْرَها، وإنّما هي دراهم، وكان الأصل أن يتزوّجوا على الإبل والغنم فيسوقوها، فكثر ذلك حتى استُعمل في الدراهم. وقولهم: جَزَّ رأسَه، وإنما هو جزَّ شَعَرَ رأسه. الظَّعينة أصلها المرأة في الهَوْدَج، ثم صار البعير ظعينة، والهَوْدَج ظعينة. والأيِّم: المرأة التي لا زوج لها، وتعمّم ليشمل المرأة التي لا زوج لها والرجل الذي لا زوجة له[١٣٧].

وقد وضع ابن دريد هذه الأمثلة وغيرها كثير في باب الاستعارات، لارتباطها بعلاقة المشابهة، ولاسيما المشابهة الحسية، أو المجاز المرسل بعلاقاته المجازية، بيد أنها فقدت طرافتها وغرابتها المجازية، وتنوسيت بتقادم الزمن وكثرة الاستعمال وذيوعها وألفة الناس لها، فتحولت الدلالة المجازية إلى حقيقة مألوفة، فالاستعارة قد تبدأ فنيةً وتعمّ لتؤدي دوراً لغوياً دلالياً.

من هنا فإن الاستعارة والمجاز يُعدّان مظهرين من مظاهر التطور الدلالي في اللغة العربية « فالناس في لغة تخاطبهم قد يلجأون إلى مجازات لتوضيح معانيهم وإبرازها في صورة جلية، دون أن يعمدوا إلى هذا عمداً، أو يرغبوا في إظهار براعة في الكلام، فكما تعودوا أن يقولوا: رأس الإنسان، قد يقولون أيضاً: رأس الجبل، ورأس النخلة، ثمّ أخيراً رأس الحكمة، ولا يعنون بكلمة (رأس) في كل من هذه الاستعمالات سوى الجزء الأعلى البارز من كل شيء، وان اختلفت هذه الأجزاء في تفاصيلها»[١٣٨].

ويشير الدكتور إبراهيم أنيس إلى بعض علاقات المجاز، فيذكر أنّ النقل بين الدلالات قد يحدث بين المحسوسات بعضها مع بعض؛ لصلةٍ بين الدلالتين في المكانية أو الزمانية، أو لاشتراكها في جزء من المعنى« فهناك ألفاظ كثيرة لوحظ تطورها في الدلالة، فانتقل كلّ منها من دلالته إلى دلالة أخرى تشترك معها في المكان مثل: (الذقن) حين تستعمل في خطاب الناس بمعنى اللحية، ومثل: (الشَّنَب) حين يُطلقونه على الشارب مع أنّه بريق الأسنان، ومثل: (السماء) التي تروي المعاجم أن من معانيها السحاب والمطر. أو تشترك معها في الزمان مثل: (الشتاء) بمعنى المطر في خطاب المصريين وكلامهم» [١٣٩].

ومن اشتراك الدلالتين في بعض المعنى استعمالهم « (الشجرة) مكان النخلة، أو العكس، وحين يستعملون (الطير) بمعنى الذباب» [١٤٠].

وأورد ابن فارس(ت ٣٩٥هـ) في باب (القول في أصول أسماء قِيسَ عليها وأُلحِقَ بها غيرُها) ما يصلح مثالاً للاتساع في دلالة الألفاظ المحسوسة بنقلها من أصلٍ إلى فرع، قال:« كان الأصمعي يقول: أصل الوِرد إتيان الماء، ثُمّ صار إتيانُ كلِّ شيء وِرداً. والقرب طلبُ الماء، ثُمّ صار يقال ذلك لكلّ طلب، فيقال: هو يقرب كذا، أي: يطلبه، ولا تقرب كذا.

ويقولون: رفعَ عَقِيرَتَهُ، أي: صوته، وأصل ذلك أنّ رَجُلاً عُقِرَتْ رجلُه فرفعها وجعل يَصيحُ بأعلى صوته، فقيل بعد ذلك لكلّ من رفع صوته: رفع عقيرته. ويقولون: بَيْنَهما مسافة، وأصله من السَّوف، وهو الشمّ. ومثل هذا كثير[١٤١]».

وقد جعل بعضهم هذه الظاهرة في دائرة الاتساع، أو الانتقال من الخصوص إلى العموم، قال الجزري(ت٦٠٦هـ):« والراكب في الأصل هو رَاكِب الإبل خاصَّة، ثم اتُّسِع فيه فأطْلِق على كل مَن ركِبَ دابَّة »[١٤٢].

وافرد السيوطي(ت٩١١هـ) لها فصلاً بعنوان، فصل (فيما وضع في الأصل خاصاً، ثم استعمل عاماً) في كتاب المزهر [١٤٣].

وقد تنتقل دلالة الألفاظ من مجال حسي إلى مجال حسي آخر بطريق تخصيص العام، أو تضييق المعنى[١٤٤]، وهو أن تقصر دلالة اللفظ العام على بعض أفراده، بحيث يصبح مدلول الكلمة مقصوراً على أشياء أقلّ عدداً ممّا كانت عليه الكلمة في الأصل[١٤٥]. فيكتسب اللفظ ملمحاً دلالياً جديداً.

وتحدث السيوطي (ت٩١١هـ) عن هذا الضرب من التطور الدلالي، في فصل بعنوان (العام المخصوص) وعرّفه بقوله: « وهو ما وضع في الأصل عاماً، ثم خُصّ في الاستعمال ببعض أفراده» [١٤٦].

ومن ذلك لفظ (المأتم) وهو عند العرب: النساء يجتمعن في الخير والشر، وخصّص في المصيبة[١٤٧]، أي انتقل من معنى الاجتماع مطلقاً إلى معنى الاجتماع للعزاء. و(الريحان) اسم لكل نبات طيب الرائحة، وخصص بنبات مخصوص[١٤٨]، أي بنوعٍ منه. ومّما تقدم يتبين أن اللفظ ينتقل خلال العصور المتعاقبة من معناه الحسي إلى معنى حسي مشابه له أو قريب منه أو بينه وبينه مناسبة، بحسب الحاجة ودواعي الاستعمال« فلا تفسر الكلمة الواردة في نص من النصوص إلاّ بالمعنى الشائع في العصر الذي قيل فيه، وإلاّ نشأ عن ذلك خطأ سببه اختلاف الزمن وتباين الاستعمال... فكلمة (السيارة) كانت تفيد معنى القافلة، وهي تطلق اليوم على المركبة التي تسيّرها المحركات الآلية. و(الهاتف) كان يقصد به الصوت لا يرى شخص صاحبه، واستعمله الصوفية بمعنى الخاطر الوارد الذي يحسّ به السالك الصوفي حتى كأنه يسمعه، ومعناها الحالي هو تلك الآلة التي تتخذ لتخاطب الناس على البعد»[١٤٩].

ومن ذلك لفظ (البريد) وهو « في الأصل مسافة معروفة، ثمّ استعمل للرسول الذي يقطع المسافات من البُرُد لإيصال الكتب، ثمّ للدابة التي تحمله، ثم استعمل للدائرة التي تتولّى إرسال الكتب والرسائل» [١٥٠].

المبحث الرابع: انتقال دلالة اللفظ من مجال مجرد إلى مجال مجرد آخر

ويبدو أنّ أمثلة هذا النمط من التطور الدلالي تكاد

تكون قليلة في اللغة مقارنة بسابقتها؛ ذلك لأنّ أغلب المجردات يمكن إرجاعها إلى أصولٍ حسية، فلفظ (البغي) مثلاً، وأصله في العربية شدّة الطلب، اختصّ بشدّة الطلب لما ليس بحقّ بالتغليب[١٥١]. فأطلق على التعدي والاستطالة والفساد والظلم، فيقال: بغى الرجل على الرجل: استطال. وبغى الوالي: ظلم. وكل مجاوزة في الحدّ وإفراط على المقدار الذي هو حدّ الشيء، فهو بغيٌ[١٥٢]. ويمكن إرجاع لفظ (البغي) إلى أصل حسيّ، من قولهم: بغت السماء: اشتدّ مطرها، وبغى الجرح: ورم وترامى إلى فساد[١٥٣]. وتنتقل الألفاظ المجردة من معناها إلى معنىً قريب منه أو بينه وبينه مناسبة، وغالباً ما يكون هذا الانتقال منقاداً لأصل صحيح، ومنساقاً لأساليب اللغة في التعميم أو التخصيص أو المجاز، فلفظ (الطرب) من الأضداد، ويطلق على الحزن والفرح، لكنّه تخصّص بالفرح والسرور، قال ابن قتيبة:« يذهب الناس إلى أنه في الفَرَح دون الجزَع، وليس كذلك، إنّما الطرب خفّة تصيب الرجلَ لشدَّة السرور أَو لشدَّة الجزع» [١٥٤]. بيد أنّ هذا التخصيص«لا يعيق الدلالة على الضدّ أحياناً، وهو الحزن؛ لأن قوة التأثر قد تؤدي إلى استجابة غير متوقعة، كأن يبكي الإنسان من فرط التأثر بالنبأ المفرح، أو يضحك ضحكة مجلجلة بعد سماعه بأمر مؤلم جداً أو مصيبة شديدة» [١٥٥].

وقد يحدث التطور الدلالي بتعميم بعض المجردات نتيجة كثرة استعمال لفظ معين بجوار ألفاظ معينة في سياق معيّن من الكلام، نحو لفظة (التقوى) التي استعملت بمعنى جعل النفس في وقاية مّما يُخاف[١٥٦]، وجاءت بمعناها الأصلي في مواضع من القرآن الكريم، نحو: قوله تعالى: ﴿ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾[١٥٧]، وقوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾[١٥٨]، ثمّ استعملت بمعنى أعمّ من المعنى الأصلي، فأضحت التقوى تفيد العمل الصالح، والتقي والمتقي تدلّ على الرجل الصالح.

ويبدو هنا أنّ المؤدّى من حيث الدلالة واحد، فقد جاء في (تهذيب اللغة):« رجل تقيّ، ويجمع على أتقياء، معناه أنّه مُوقٍ نفسه من العذاب بالعمل الصالح، وأصلـه من وقيت نفسي أقيها» [١٥٩].

وهناك ألفاظ مجردة انحرفت عن معناها بسبب التبدّل الناشئ عن مجاورتها لألفاظ معينة في سياق معيّن من الكلام، ومن أمثلتها: لفظة (الحيلة) و(الاحتيال) التي انتقلت من معنى السعي للخروج من ضيق، إلى معنى فيه مكر وخبث، فهي« لم تكن تفيد أي معنى يذم بسببه الإنسان، فيقال: احتال لطعامه، ولم يكن له في الأمر حيلة. ثم اكتسب هذا اللفظ بكثرة الاستعمال في مواطن يلجأ فيها الإنسان إلى وسائل غير محمودة معنىً مذموماً، وأصبح لفظ المحتال يفيد الذم القبيح، ولم يكن كذلك» [١٦٠].

ونحو: « كلمة (الفشل) ومعناها الفصيح الضعف[١٦١]،

ولكن كثرة ترداد الناس لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ﴾[١٦٢]، واستشهادهم بهذه الآية في مواطن التنازع المؤدي إلى الإخفاق، جعلهم يظنون أن معنى الفشل الإخفاق، وهو خطأ» [١٦٣]. فنجدهم يقولون: فلان فشل في الدراسة، وفشل في الاختبار، وفشل الرياضي في تحقيق رقم جديد، كلها بمعنى: أخفق، وهو قياس خاطئ [١٦٤].

ويبدو أن نسبة الخطأ إلى بعض حالات التغير الدلالي قد تكون مجانبة للصواب، طالما أنها توافق سنن الكلام العربي الفصيح وما له نظير منه، وتخضع لسنن التطور اللغوي للألفاظ من المحسوس إلى المجرد، ولمظاهر ذلك التطور المختلفة كالتخصيص والتعميم والتغيير الدلالي[١٦٥].

وأوضح ما يكون هذا النمط من التغيّر في ألفاظ الصفات والنعوت التي تتضمّن عادة دلالات مجردة غير واضحة المعالم والحدود في أذهان كثير من الناس، فتشترك تلك الألفاظ في بعض المعنى، فيتّخذ بعضها دلالة جديدة قد تمتّ للدلالة السابقة ببعض الصلة« مثل: (النبيل) حين يستعمل بمعنى الشريف، أو العكس، رغم أنّ النبل هو النجابة، والشرف هو العلو. ومثل:(النبيه) حين يستعمل في خطاب الناس بمعنى الذكي، رغم أنّ النباهة هي الشهرة» [١٦٦].

ومن ذلك لفظة (الشحناء) التي استعملوها بمعنى الغيظ، فقالوا: أشحنت صدره، إذا غظته[١٦٧]، وهي في اللغة تعني العداوة والبغضاء [١٦٨]، وقد يكون مؤدّى الدلالة واحداً؛ ذلك لأن الغيظ من متعلقات العداوة، وقد يكون باعثاً على تفاقمها، ومن هنا عبّروا بالشحناء عن الغيظ.

ومنه لفظة (الرَّقِيع) التي استعملوها لمن به قِحَة[١٦٩]، وهي في اللغة تطلق على الأَحمق الذي يَتَمَزَّقُ عليه عَقْلُه، يقال: رَقُع رَقاعةً، وهو أَرْقَع، وسمي رَقِيعاً لأَن عقله قد أَخْلَق فاسْتَرَمَّ، واحتاج إِلى أَن يُرْقَع، وأَرْقَع الرَّجلُ، أَي جاء برَقاعةٍ وحُمْقٍ[١٧٠].والوقاحة أو القِحَة، تعني قلة الحياء، يقال: رجل وَقاح الوجه صُلْبُه: قليلُ الحياء، وقد وَقُحَ وَقاحةً وقِحَةً [١٧١]. وهي صفة تغلب على الرقيع الأحمق، فيسهل عليه التعرض للناس بما يسوء، وإذا فعل ذلك يكون قد التقى بما يتصف به الرجل الوَقاح من قلة الحياء.

واستعملوا لفظ (الإذعان) بمعنى الإدراك والفهم[١٧٢]، وأصله الانقياد والإقرار. يقال: أَذْعَنَ له إِذْعاناً: خَضَعَ وَذَلّ. وأَذْعَنَ لي بحقِّي: أَقَرّ. وأَذْعَنَ الرَّجُلُ: انْقَادَ وسَلِسَ [١٧٣]. قيل في سبب ذلك: «لأن في الإقرار فهماً واعترافاً، ثم انقياداً لأداء الحقّ. ومن الممكن أن يكون هذا النقل على سبيل المجاز؛ لأنّ الفهم والإدراك هما سبب الإذعان والانقياد» [١٧٤].

واستعملوا لفظ (الزعيم) من الزعم الذي هو الحسبان، والحسبان مبني على الزعم الفاسد، والزعيم في الأصل بمعنى الكفيل والسيد والرئيس [١٧٥].قال الراغب

مبيناً الربط بين الدلالتين:« الزعم: حكاية قول يكون مظنّة للكذب، ولهذا جاء في القرآن في كلّ موضع ذمّ القائلون به نحو: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾[١٧٦] ، ﴿ بَلْ زَعَمْتُمْ ﴾ [١٧٧]، ... وقيل للضمان بالقول والرئاسة: زعامة، فقيل للمتكفل والرئيس: زعيم، للاعتقاد في قوليهما أنهما مظنّة للكذب» [١٧٨].

وقيل: إن لفظ (الحشمة) أصله في اللغة الغضب، وتطور بالنقل إلى معنى الحياء؛ للمشابهة في الأثر الذي يؤول إليه الغضب والحياء، وهو الانقباض[١٧٩].

وقد يكون التطور الدلالي بين المجردات إلى الضدّ، ومن ذلك تردّد استعمال لفظ (الهوى) بين مجال الخير ومجال الشرّ، قال الفيومي:« و(الهَوَى) مقصورٌ، مصدر (هَوِيتُهُ) من باب تعب، إذا أحببته وعلقت به، ثمّ أطلق على ميل النفس وانحرافها نحو الشيء، ثمّ استعمل في ميل مذموم، فيقال: اتبّع هواه، وهو من أهل الأهْوَاءِ» (١٨٠).

نتائج البحث:

لا يخفى أن اللغات الإنسانية في حالة تطور مستمر، وبخاصة في مجال الدلالة، وقد وقفت في هذا البحث عند أربعة أنماط من التطور الدلالي بين التجسيد والتجريد، مبيناً مظاهر التطور التي يتجلى بها، لاسيما تخصيص الدلالة وتعميمها وانتقالها من مجال إلى مجال آخر، بعلاقة المشابهة وغيرها من علاقات المجاز، ويمكن القول إنّ البحث أفضى إلى النتائج الآتية:

١- أنّ اشتقاق المجردات من المحسوسات يسهم في إرساء قواعد الاشتقاق التي اختلف فيها اللغويون كثيراً، فيستطيع الباحث الاطمئنان إلى أنّ المحسوس يسبق المجرد، وأن المجرد مشتق منه، فأسماء الأعيان والجواهر تسبق المصادر، والفعل يفيد الإسناد والزمن، فهو أكثر تشخيصاً من المصدر المجرد، الذي لا يفيد الإسناد والزمن، بل يفيد معنى الحدث مجرداً عن فاعله وزمانه، فالفعل أسبق في الظهور من المصدر.

٢- أنّ خضوع عملية انتقال الألفاظ من التجسيد إلى التجريد لسُنّة التطور الثقافي والاجتماعي، تسهم في الكشف عن الأصول والفروع، وترشد الدارس إلى أحد مفاتيح المعجم التاريخي الذي يسعى الباحثون إلى انجازه، الأمر الذي يوفر مادة علمية لهذا المعجم تقوم على أساس علمي، معياره سبق المحسوس للمجرد في الوجود.

٣- أنّ بعض ألفاظ المشترك اللفظي التي تجمع بين معنيين، أحدهما حسي، والآخر مجرد، يمكن للباحث أن يحكم على المعنى الأصلي منهما، وهو المعنى الحسي، بينما يعدّ المعنى المجرد فرعاً عنه، ممّا يخرج كثيراً من الألفاظ عن دائرة المشترك اللفظي وحدّه اللغوي.

٤- أنّ الدلالة قد تنتقل من التجريد إلى التجسيد، لكن

أغلب أمثلة هذا النوع من الانتقال تتعلّق بالتعبير الفني الذي يراد منه إثارة دهشة المتلقي بسبب بعض المثيرات الأسلوبية، الأمر الذي يبتعد عن موضوع التطور التاريخي للدلالة، ويجعل المسألة مجرد افتراض يعارض مسلّمات علم اللغة الحديث التي تقضي بأن الأساس هو تغيّر الدلالة من التجسيد إلى التجريد، لارتباط الأول بمراحل طفولة المجتمعات، وارتباط الآخر بتطور العقل البشري، وارتفاع معدلات الوعي الثقافي والاجتماعي.

٥- أنّ الكلمة قد تتردد في الاستعمال بين التجسيد والتجريد لأكثر من مرة بحسب حاجات الخطاب، فتنتقل دلالات بعض المصادر المجردة إلى دلالة محسوسة في موارد محدودة ذات صلة بالتطور الدلالي.

٦- وجدتُ أن بعض مباحث التطور الدلالي المتعلقة بالمجرد والمحسوس، كان قد تنبّه لها بعض علمائنا المتقدمين، كابن دريد وابن جني وابن فارس والسيوطي وغيرهم، وأشاروا إليها في ثنايا مؤلفاتهم، مّما يدلّ على إلمامهم وإحاطتهم بالتطور الدلالي للألفاظ.

٧- أنّ الخطأ أو اللحن المنسوب إلى بعض حالات التغيّر الدلالي يمكن تصويبه إذا كان موافقاً لسنن الكلام العربي الفصيح، وخاضعاً لسنن التطور اللغوي للألفاظ من المحسوس إلى المجرد، ولمظاهر ذلك التطور المختلفة كالتخصيص والتعميم والتغيير الدلالي

الهوامش

١- ينظر: دلالة الألفاظ:١٥٢-٦٧، وعلـم الدلالـة- أصوله ومباحثه في التراث العربي:٧٢، وعلم اللغة/د.علي عبد الواحد وافي:٣١٩.

٢- ينظر: علم اللغة/د. حاتم الضامن:١٤٥-١٤٧.

٣- العين –جسد-:٤٧/٦-٤٩.

٤- سورة طه/٨٨.

٥- الصحاح–جسد-:٤٥٦/٢.

٦- المصباح المنير–جسد-:٥٧/١.

٧- ينظر: دراسات في الشعر العربي المعاصر:٢٣٦، ومعجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب:١٠٢، والمعجم الأدبي: ٥٩، والصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي:٢٤٢.

٨- ينظر: معجم مقاييس اللغة-جرد-:٤٠٣/١، ولسان العرب-جرد-:١١٦/٣.

٩- ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر:٤٠٥/١، والتعريفات:٥٦، وموسوعة مصطلحات التصوف الإسلامية:١٦١، وفقه اللغة وخصائص العربية:٢٠٢، ومعجم الفكر الحضاري:٧٩.

١٠- علم الدلالة العربي-النظرية والتطبيق:٢٨٩، الجوانب الدلالية في نقد الشعر في القرن الرابع الهجري:٢١٢-٢١٣.

١١- معجم الفكر الحضاري:٨٠.

١٢- ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية:٣٠٨-٣٠٩.

١٣- أساس البلاغة –شبح- :٤٩٢/١.

١٤- من أعلام الخيل. ينظر: معجم مقاييس اللغة –عوج-:١٤٨/٤، وتاج العروس-عتا-:١٩ /٦٦٥.

١٥- من أعلام الإبل. ينظر: لسان العرب- شدقم -:٣٢٠/١٢، و- دهمج-:٢٧٦/٢.

١٦- الخصائص:١٩٧/١. الجَرْباء: السماء، سُمِّيت بذلك لما فيها من الكَواكِب، وقيل: سميت بذلك لموضع المَجَرَّةِ كأَنها جَرِبَتْ بالنجوم. لسان العرب-جرب-:٢٥٩/١.

١٧- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك:٢١٣/١-٢١٥.

١٨- أسرار البلاغة:٦٦.

١٩- المباحث اللغوية في العراق:١٦.

٢٠- دور الكلمة في اللغة:٨٩.

٢١- ينظر: علم الدلالة/ د.أحمد مختار عمر:١٠٧، وعلـم الدلالـة-أصوله ومباحثه في التراث العربي:٧٨-٨٠.

٢٢- ينظر: دور الكلمة في اللغة:٨٩.

٢٣- مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب:٢٤.

٢٤- المعنى وظلال المعنى:١١٥.

٢٥- المصدر نفسه:٣٧.

٢٦- ينظر: دلالة الألفاظ: ١٦١، وعلم الدلالة/ د.احمد مختار عمر: ٢٣٨، وعلـم الدلالـة- أصوله ومباحثه في التراث العربي:٤٢، وعلم الدلالة العربي- النظرية والتطبيق:٢٨٩، والجوانب الدلالية في نقد الشعر في القرن الرابع الهجري:٢١٢-٢١٣، وفي علم الدلالة- دراسة تطبيقية في شرح الانباري للمفضليات: ١٤٥ و١٥٨، والتطور الدلالي فـي العربية فـي ضوء علم اللغة الحديث: ٦٦.

٢٧- علم اللغة/ د. حاتم الضامن:١٤٣.

٢٨- علم اللغة/ د. محمود السعران:٢٧٢-٢٧٣.

٢٩- دولة في غرب أفريقيا، يطلق عليها الآن بوركينا فاسو.

٣٠- من دول أمريكا الوسطى، تقع جنوب المكسيك.

٣١- دولة مستقلة مكونة من جزر في المحيط الهادي، تقع شمال شرق غينيا الجديدة، بين كل من إندونيسيا وهاواي.

٣٢- إقليم تابع إلى فرنسا، يقع في جنوب المحيط الهادي، شرق استراليا.

٣٣- ينظر: الجوانب الدلالية في نقد الشعر في القرن الرابع الهجري:٢٢٣، وعلم الدلالة العربي-النظرية والتطبيق:٢٩٧. عن كتاب نحو علم للترجمة/يوجين نيدا:١١٦.

٣٤- دلالة الألفاظ:١٦٢، وينظر: مصنفات اللحن والتثقيف اللغوي حتى القرن العاشر الهجري:٣٠٣.

٣٥- ينظر : علم الدلالة العربي: ٣٢٦.

٣٦- ينظر :كلام العرب: ٢٤٤، ونظرية المعنى في النقد العربي: ٨٥.

٣٧- جمهرة اللغة-باب الاستعارات-:١٢٥٦/٣.

٣٨- ينظر: دور الكلمة في اللغة:١٦٦، والتطور الدلالي فـي العربية فـي ضوء علم اللغة الحديث:٧٨.

٣٩- سورة يس/٥٩.

٤٠- ينظر: التبيان في تفسير القرآن:٤٥٤/٨.

٤١- ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية:٣٣٥.

٤٢- تاج العروس-نوط- ج٤٣٦/١٠.

٤٣- ينظر: الصاحبي في فقه اللغة:٢٤٦.

٤٤- المصدر نفسه.

٤٥- في اللهجات العربية:١٧٣.

٤٦- تهذيب اللغة-عقل-:١٥٩/١.

٤٧- سنن الترمذي:٦٦٨/٤ ح٢٥١٧.

٤٨- ينظر: علم اللغة/ د. حاتم الضامن:١٤٦.

٤٩- سورة الأنعام/١٢٥.

٥٠- تهذيب اللغة –حرج-:٨٤/٤.

٥١- الصاحبي في فقه اللغة- باب الأسباب الإسلامية- ص ٧٨-٨١ .

٥٢- الزينة في الكلمات الإسلامية العربية:٢٦٧.

٥٣-ينظر:مفرداتألفاظالقرآن-طبع-:١٩/٢،وأساسالبلاغة-طبع-:٥٩٣/١،ولسانالعرب-طبع-:٢٣٢/٨-٢٣٣.

٥٤- أساس البلاغة -نبط-: ٢٤٣/٢. وينظر: معجم مقاييس اللغة –نبط- : ٥ /٣٠٤.

٥٥- سورة النساء/٨٣.

٥٦- التطور الدلالي/ د. مهدي أسعد عرار:١٥٩.

٥٧- لسان العرب –برك-:٣٩/١٠.

٥٨- معجم مقاييس اللغة –فتن-:٣٧٧/٤.

٥٩- التطور الدلالي/ د. مهدي أسعد عرار:٤٨.

٦٠- ينظر: علم اللغة/ د. حاتم الضامن:١٤٥.

٦١- المصدر والصفحة نفسهما، والآية من سورة الأنبياء/٩١، وسورة التحريم/١٢.

٦٢- ينظر: علم اللغة/ د. حاتم الضامن:١٤٦.

٦٣- ينظر: المصدر نفسه.

٦٤- ينظر: المصدر نفسه.

٦٥- أساس البلاغة- شرف-:٥٠٣/٢.

٦٦- ينظر: علم الدلالة والمعجم العربي:٧٠.

٦٧- ينظر: دلالة الألفاظ:١٦٤-١٦٥.

٦٨- ينظر: دلالة الألفاظ:١٦١-١٦٢، وعلم الدلالة/ د.أحمد مختار عمر:٢٣٨.

٦٩- فقه اللغة وخصائص العربية:٢٠٨.

٧٠- ينظر: المعجم الوسيط-سلك-٤٤٥/١، وفقه اللغة وخصائص العربية:٢٠٨.

٧١- تهذيب اللغة- حثب-:٢٧٩/٤.

٧٢- أصول البحث:١١.

٧٣- ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية:٢٠٩.

٧٤- ينظر: علم الدلالة العربي-النظرية والتطبيق ص ٢٧٩، والجوانب الدلالية ص٢٦٣ و٢٠٧.

٧٥- دلالة الألفاظ:١٦٤.

٧٦- ينظر: الخصائص:٣٤/٢.

٧٧- ينظر: الخصائص:٣٤/٢.

٧٨- دراسات في فقه اللغة:١٨١-١٨٣.

٧٩- ينظر: في اللهجات العربية:١٧٢.

٨٠- ينظر: دلالة الألفاظ:١٦٤-١٦٥.

٨١- ينظر: في اللهجات العربية:١٧٣.

٨٢- المزهر في علوم اللغة وأنواعها:٣٦٩/١.

٨٣- في اللهجات العربية:١٧٢.

٨٤- ينظر: دلالة الألفاظ: ٢١٣.

٨٥- معجم مقاييس اللغة –وزر-:٨١/٦.

٨٦- ينظر: التطور الدلالي:٥٥.

٨٧- ينظر: جمهرة اللغة-جنو-:١٠٤٦/٢، ومعجم مقاييس اللغة-نجو-٣٧٩/٥.

٨٨- لسان العرب-عصم-:٤٠٣/١٢.

٨٩- المعجم الوسيط-عصم-:٦٠٥/٢.

٩٠- ينظر: معجم مقاييس اللغة –عصم-:٢٦٩/٤.

٩١- التعريفات:١٩٩.

٩٢- الصحاح-علق-:١٥٢٩/٤.

٩٣- سورة القيامة/١١.

٩٤- معجم مقاييس اللغة –وزر-:٨١/٦.

٩٥- المزهر في علوم اللغة وأنواعها:٢٨٠/١.

٩٦- في اللهجات العربية:١٧٢.

٩٧- لسان العرب-يتم-:٦٤٥/١٢.

٩٨- جمهرة اللغة: - باب الدال مع الراء في الرباعي الصحيح-:٣ /١١٤٦.

٩٩- ينظر: لسان العرب-فردس-:١٦٣/٦.

١٠٠- الاشتقاق:١٨٤.

١٠١- الصاحبي في فقه اللغة:٦٧.

١٠٢ ينظر: لسان العرب-بلس-: ٢٩/٦، تاج العروس-بلس-: ٢٠٩/٨.

١٠٣ ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف:٢٦٠.

١٠٤ ينظر: الاشتقاق:٥٩، وتاج العروس:٢٧٤/١٦.

١٠٥ ينظر: الخصائص:٣٤/٢.

١٠٦ المباحث اللغوية في العراق:١٥-١٦.

١٠٧ وسائل النهوض باللغة العربية وتيسير قواعدها وكتابتها:١٤٠. وينظر: المباحث اللغوية في العراق:١٠، و١٥-١٦.

١٠٨ مفتاح العلوم:١٤٦.

١٠٩ تاريخ اللغات السامية:٧٧.

١١٠ المصدر نفسه.

١١١- دروس اللغة العربية:٢٦.

١١٢- ينظر: في نظام المعجم العربي:٣٤، والمؤلفات الكاملة/زكي الأرسوزي:٢٦١/١.

١١٣- ينظر: في نظام المعجم العربي:٣٥،

١١٤- دلالة الألفاظ:١٧٢.

١١٥- ينظر: الصحاح –نوأ-:٧٨/١-٧٩، ولسان العرب-نوأ-:١٧٥/١-١٧٨، وتاج العروس-نوأ-٢٦٨/١-٢٧٠.

١١٦- ينظر: التعريفات:٩٨، وأنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء:٥٧.

١١٧- سورة النساء/٤٤.

١١٨- التطور الدلالي في العربية في ضوء علم اللغة الحديث ص٨٢. وينظر : دلالة الألفاظ ١٦٠ ودور الكلمة ١٨٦ .

١١٩- عن بناء القصيدة العربية الحديثة:٧٩.

١٢٠- سورة النور/٣٠.

١٢١- سورة القصص:١٣.

١٢٢- سورة آل عمران:١٢٠.

١٢٣- ينظر: التصوير الفني في القرآن:٧٨.

١٢٤- دلالة الألفاظ:١٦١.

١٢٥- تاج العروس-نوط- ج٤٣٦/١٠.

١٢٦- ينظر: مصنفات اللحن:٣٩٣.

١٢٧- علم الدلالة العربي:٣٠٦.

١٢٨- ينظر: دور الكلمة في اللغة: ١٦٢.

١٢٩- ينظر : دلالة الألفاظ:١٥٤، ودور الكلمة في اللغة:١٦٢.

١٣٠- لسان العرب-حشش-:٢٨٣/٦.

١٣١- ينظر: قاموس رد العامي إلى الفصيح:١٣١.

١٣٢- الصحاح-رحل-:١٧٠٦/٤.

١٣٣- المصباح المنير-رحل-:١١٧.

١٣٤- ينظر: مصنفات اللحن:٣٨٢.

١٣٥- فقه اللغة وخصائص العربية:٢٠٩.

١٣٦- جمهرة اللغة – نعش-:٨٧١/٢ ، وينظر: المخصص: ٢١٠/٢.

١٣٧- ينظر: جمهرة اللغة- باب الاستعارات-:١٢٥٥/٣-١٢٥٧.

١٣٨- في اللهجات العربية:١٦٧.

١٣٩- دلالة الألفاظ: ص١٦٥.

١٤٠- دلالة الألفاظ: ص١٦٦.

١٤١- الصاحبي:٩٦-٩٧.

١٤٢- النهاية:٦٢٣/٢.

١٤٣- ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها:٣٣٣/١.

١٤٤- ينظر: دور الكلمة في اللغة: ١٦٢، وعلم الدلالة/ د.أحمد مختار عمر: ٢٤٥.

١٤٥-ينظر:التطور الدلالي في العربية في ضوء علم اللغة الحديث-مجلة الدراسات الاجتماعية، العدد ١٥، ص٧٨.

١٤٦- ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ٣٣٢/١.

١٤٧- الصحاح- أتم -:١٨٥٧/٥.

١٤٨- المصباح المنير- روح -:١٢٧.

١٤٩- فقه اللغة وخصائص العربية:٢١٠-٢١١.

١٥٠- فقه اللغة وخصائص العربية:٢٢٠.

١٥١- الفروق اللغوية- الفرق بين الظلم والبغي-:٣٤٢.

١٥٢- الصحاح-بغى-:٢٢٨١/٦.

١٥٣- المصدر نفسه.

١٥٤- أدب الكاتب:١٨.

١٥٥- مصنفات اللحن والتثقيف اللغوي:٣١٢.

١٥٦- ينظر: مفردات ألفاظ القرآن:٥٣٠/٢، والتوقيف على مهمات التعاريف:٣١٩.

١٥٧- سورة البقرة/٢٥.

١٥٨- سورة الزمر/٢٤.

١٥٩- تهذيب اللغة:١٩٩/٩.

١٦٠- فقه اللغة وخصائص العربية:٢١٣، وينظر:٢٢٠.

١٦١- الفشل: الفزعُ والجُبْن والضَّعْف. ينظر: لسان العرب- فشل-:٥٢٠/١١.

١٦٢- سورة الأنفال/٤٦.

١٦٣- فقه اللغة وخصائص العربية:٢١٣.

١٦٤-ينظر:التطور الدلالي في العربية في ضوء علم اللغة الحديث-مجلة الدراسات الاجتماعية، العدد ١٥، ص ٦٩.

١٦٥- اختلفت مواقف اللغويين القدماء- لاسيما المصنفون في اللحن- من التطور الدلالي. ينظر: مظاهر التطور الدلالي في كتب لحن العامة من القرن الثاني حتى نهاية القرن الرابع الهجري: ١٦٥و١٧١.

١٦٦- دلالة الألفاظ:١٦٦.

١٦٧- ينظر: مصنفات اللحن والتثقيف اللغوي:٤٠٩.

١٦٨- المصباح المنير-شحن-:١٦٠.

١٦٩- مصنفات اللحن والتثقيف اللغوي:٤٠٩.

١٧٠- ينظر: تهذيب اللغة- رقع-:١٥٨/١، والصحاح- رقع-:١٢٢١/٢، ولسان العرب- رقع-:١٣١/٨.

١٧١- العين-وقح-: ٢٥٦/٣.

١٧٢- ينظر: تاج العروس- ذعن-: ٢٢٠/١٨.

١٧٣- ينظر: المصدر نفسه- ذعن-: ٢٢٠/١٨-٢٢١.

١٧٤- ينظر: مصنفات اللحن والتثقيف اللغوي:٤٣٩.

١٧٥- ينظر: لسان العرب – زعم- ٢٦٤/١٢.

١٧٦- سورة التغابن/٧.

١٧٧- سورة الكهف/٤٨.

١٧٨- مفردات ألفاظ القرآن-زعم-: ٤٣٥/١.

١٧٩- ينظر: مصنفات اللحن والتثقيف اللغوي:٤٠٠.

١٨٠- المصباح المنير-هوى-:٣٣١.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- أدب الكاتب : ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة: الرابعة، ١٣٨٢هـ-١٩٦٣م .

٢- أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م .

٣- أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ)، قرأه وعلق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر، نشر: مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة (د.ت).

٤- الاشتقاق: أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد (ت٣٢١هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة (د.ت).

٥- أنيس الفقهاء- في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء: قاسم بن عبد الله القونوي (ت ٩٧٨هـ)، تحقيق: د. أحمد الكبيسي، دار الوفاء، جدة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ.

٦- تاج العروس: الزبيدي(ت١٢٠٥هـ)، تصحيح: علي شيري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

٧- تاريخ اللغات السامية: الدكتور إسرائيل ولفنسون، دار القلم، بيروت، الطبعة: الأولى،١٩٨٠م.

٨- التبيان في تفسير القرآن: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي(ت٤٦٠هـ)، تحقيق: احمد حبيب قصير العاملي، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

٩- التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، دار الشوق، القاهرة، الطبعة: السادسة عشرة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

١٠- التطور الدلالي: د. مهدي أسعد عرار، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣م.

١١- التطور الدلالي في العربية في ضوء علم اللغة الحديث: د. حسين حامد الصالح، مجلة الدراسات الاجتماعية، العدد ١٥، يناير- يونيو٢٠٠٣م.

١٢- التعريفات: علي بن محمد الجرجاني(ت ٨١٦)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥م.

١٣- تهذيب اللغة: أبو منصور الأزهري (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

١٤- التوقيف على مهمات التعاريف: محمد عبد الرؤوف المناوي (١٠٣١هـ)، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤١٠هـ.

١٥- جمهرة اللّغة: ابن دريد (ت٣٢١هـ)، تحقيق: الدكتور رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

١٦- الجوانب الدلالية في نقد الشعر في القرن الرابع الهجري: د. فايز الداية، دار الملاح للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٩٧٨م.

١٧- الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ) ، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت (د.ت).

١٨- دراسات في الشعر العربي المعاصر: د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ١٩٧٩.

١٩- دراسات في فقه اللغة: د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: التاسعة، ١٩٨١م.

٢٠- دروس اللغة العربية: الدكتور ربحي كمال، مديرية الكتب في جامعة دمشق، الطبعة: الخامسة، ١٩٧١- ١٩٧٢م.

٢١- دلالة الألفاظ: د. إبراهيم أنيس، الطبعة: الثانية، مكتبة أنجلو المصرية، ١٩٧٢م، (د.ت).

٢٢- دور الكلمة في اللغة: ستيفن أولمان، ترجمة: د. كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، مصر(د.ت).

٢٣- الزينة في الكلمات الإسلامية العربية: أبو حاتم الرازي (ت٣٢٢هـ)، عارضه وعلّق عليه: حسين بن فيض الله الهمداني، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٤١٥هـ-١٩٩٤.

٢٤- سنن الترمذي (الجامع الصحيح): أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، (ت٢٩٧هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٥٧هـ- ١٩٣٨م.

٢٥- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري (ت٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، الطبعة: العشرون، ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م.

٢٦- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: د. عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٢٧- الصحاح: الجوهري (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: السيد أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٢٨- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي: د. جابر عصفور، دار التنوير، بيروت، ١٩٨٣م.

٢٩- علم الدلالة: د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة: الخامسة، ١٩٩٨م.

٣٠- علم الدلالة-أصوله ومباحثه في التراث العربي: منقور عبد الجليل، اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م.

٣١- علم الدلالة العربي-النظرية والتطبيق: د. فايز الداية، دار الفكر، دمشق، الطبعة: الثانية، ١٩٩٦م.

٣٢- علم الدلالة والمعجم العربي: د.عبد القادر أبو شريفة ود. داود غطاشة وحسين لافي، دار الفكر، عمان، ١٩٨٩م.

٣٣- علم اللغة: د.حاتم صالح الضامن، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، مكتبة اللغة العربية بغداد، ١٩٨٩م.
٣٤- علم اللغة: د.علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٢هـ- ١٩٦٢م.
٣٥- علم اللغة - مقدمة للقارئ العربي: د. محمود السعران، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، (د.ت).
٣٦- عن بناء القصيدة العربية الحديثة - د. علي عشري زايد، دار الفصحى للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٧٨م.
٣٧- العين: الخليل بن احمد الفراهيدي (ت١٧٥ هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، و د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، الطبعة: الأولى، ١٩٩٥م.
٣٨- الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري(ت٣٩٥هـ) ، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، إيران، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.
٣٩- في علم الدلالة- دراسة تطبيقية في شرح الانباري للمفضليات: د. عبد الكريم محمد حسن، دار المعرفة الجامعة، مصر، ١٩٩٧م.
٤٠- في اللهجات العربية: دكتور إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٥م.
٤١- في نظام المعجم العربي: الدكتور جعفر دك الباب، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق العدد ٧٧، السنة ١٩، تشرين الأول- اكتوبر١٩٩٩م، جمادى الأخرى - رجب١٤٢٠م.
٤٢- قاموس رد العامي إلى الفصيح: تأليف الشيخ أحمد رضا، دار الرائد العربي، الطبعة: الثانية، بيروت، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.
٤٣- كلام العرب- من قضايا اللغة العربيّة: حسن ظاظا، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٦م.
٤٤- لسان العرب: ابن منظور الأفريقي المصري (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ١٩٥٦م.
٤٥- المباحث اللغوية في العراق ومشكلة العربية العصرية: الدكتور مصطفى جواد، مطبعة العاني، بغداد، الطبعة: الثانية، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م.
٤٦-المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: أبو الفتح ضياء الدين ابن الأثير(ت٦٣٧هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥م.
٤٧- المخصص: ابن سيده (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
٤٨- المزهر في علوم اللغة وأنواعها: جلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ)، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٨م.
٤٩- المصباح المنير: أحمد بن محمد الفيومي(ت بعد ٧٧٠هـ)، اعتنى به: يوسف الشيخ محمد، المكتبة

العصرية، صيدا، لبنان، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
٥٠- مصنفات اللحن والتثقيف اللغوي حتى القرن العاشر الهجري: أحمد محمد قدور، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ١٩٩٦م.
٥١- مظاهر التطور الدلالي في كتب لحن العامة من القرن الثاني حتى نهاية القرن الرابع الهجري: مجلة مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية، المجلد/ ٢، العدد /٢، كانون الأول ٢٠١٢م.
٥٢- المعجم الأدبي: جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٧٩م.
٥٣- معجم الفكر الحضاري: د. منصور العيد، دار الجيل، بيروت، ٢٠١٠م.
٥٤- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبة وكامل المهندس، مكتبة لبنان، الطبعة: الثانية، ١٩٨٤م.
٥٥- معجم مقاييس اللغة: ابن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م.
٥٦- المعجم الوسيط: المجمع العلمي العربي بالقاهرة، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، بيروت.
٥٧- المعنى وظلال المعنى- أنظمة الدلالة في العربية: د. محمد محمد يونس، دار المدار الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثانية، ٢٠٠٧.
٥٨- مفتاح العلوم: أبو يعقوب السكاكي (ت ٦٢٦هـ)، تحقيق: أكرم عثمان يوسف، الطبعة: الأولى، مطبعة دار الرسالة، بغداد، ١٤٠٠هـ-١٩٨١م.
٥٩- مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الاصفهاني (ت نحو٤٢٥هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ.
٦٠- مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، د. محمد محمد يونس، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠٤م.
٦١- موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، د. رفيق العجم، مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت، ١٩٩٩م.
٦٢- نظرية المعنى في النقد العربي: د. مصطفى ناصف، دار الأندلس، بغداد، الطبعة: الثانية، ١٩٨١م.
٦٣- النهاية في غريب الحديث والأثر: أبو السعادات الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناجي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
٦٤- وسائل النهوض باللغة العربية وتيسير قواعدها وكتابتها: د. مصطفى جواد، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، ج١، م٣٢ ، كانون الثاني ، ١٩٥٧- جمادى الأولى، ١٣٧٦هـ .

وفوق كل ذي علم عليم
١٤٣٦

المراقبات